فورمالين

قصص

شريف الغنّام

obeikandl.com

شريف الغنَّام

فورمالين

رقم الايداع / 10297 / 2013

الترقيم الدولى / ٣ - ٣١ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

غلاف / فاطمة عشرى

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

هيئة تحرير ومراجعة

د/ سالم ابراهيم سالم

أ / رشا زقيزق

أ/ محمود السيد

المراسلات : 60 ش سكينة بنت الحسين

كفر عبده - الإسكندرية

ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧

: ٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧

Dar.lilitte@gmail.com

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithpublishinghouse.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤن الفنية

شريف الغنّام

فورمالين

دار ليليت للنشر والتوزيع ،٢٠١٣ ط١

ص ،سم ١٣×٢٠

تدمك /٣-٣١ -٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الايداع / ١٠٢٩٧/ ٢٠١٣

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

فورمالين

obeikandl.com

obeikandl.com

عَبَسَ عبد الجبار إذ رأى أولادَه يشاهدون التلفاز، نظر إليهم نظرةً أَزْعَبَتْهُم، وقفوا مبتعدين عن التلفاز مُنَكّسِي الرؤوس يملؤهم الخزي؛ وكأنهم ضُبطوا يرتكبون الخطيئةَ الكبرى، انحنى إلى الطاولة وأمسكَ بجهاز التحكم عن بعدٍ بعصبيةٍ وفي لهجةٍ حازمةٍ آمِرةٍ قال:

- ألم أقل لكم ألفَ مرةٍ لا تشاهدوا هذه القنوات أو تسمعوا الغناء، أتريدون أن تُنزلواعلينا سخطًا من الله. هذا الشيء فقط لسماع القنوات الدينية، أما كلُّ أشكال الغناء ومشاهدة الأفلام والمسلسلات حرام ويجلب الفقر.

وبلمسة بسيطة على جهاز التحكم عن بعد غيّر المحطة وجلس أولادُه أمامه، ثم نادى زوجته كي تشاهد معه الداعية المفضل لديه، الذي يفرضه عليهم فرضًا ويرفض أن يستمعوا لأحدٍ غيره، كما تَحْمَرُّ عيناه ويكاد يصفع كلَّ مَن تناوله بكلمةٍ أو رفضَ شيئًا ممّا يقول.

تعلّلت زوجتُه بأنها لم تنتهِ من أعمالِ المطبخ بعد. جاءت لهجته حادةً حازمةً قاطعةً:

- يحرق المطبخ على دماغ صاحبه، ولا تفوتي حرفًا ممّا يقوله داعيتنا المفضل.

أضاءت الشاشةُ بنورٍ وهّاج، ظهر داعيتهم المفضل بالجلبابِ الأبيضِ وطاقيتِهِ البيضاءِ، ولحيته بيضاء طويلة تكاد تخرج إليهم من شاشة التلفاز. كلما مدَّ ذقنَه إلى الأمام يُخيّل للأطفال الصغار الجالسين أمام التلفاز أنّ

بإمكانهم العبث بلحيته ووجهه، أسمر لكنْ لكثافة المساحيق على وجهه أعطته شيئًا من البياض, علامة الصلاة في وجهِهِ كبيرةٌ وبارزةٌ إلى الإمام كالزيتونة الكبيرة. أشار عبد الجبار بإصبعه السبابة إلى التلفاز وهو يقول:

- هكذا يكون المتدينُ الحقُّ في مظهرِه ومَخْبَرِه.

شدّت كلماتُه اهتمامَ الصغار، أعادوا النظرَ إلى التلفاز، ثم أعادوا النظر إليه ليخرج التساؤل من أكبرهم سِنًّا والذي لم يتعدَّ الثانية عشرة من عمره.

- لماذا لا تُطلق لحيتَك مثلَه يا أبي؟

أدامَ عبد الجبار النظرَ بإعجابٍ لداعيته المفضل في التلفاز وأجاب ابنه، وهو مازال يتأمّل صورة الداعية في التلفاز.

- أين أنا يا ابني من هذا الشيخ الجليل ما زال أمامي الكثير حتى أطلق لحيتي وأصبح من الإخوة الملتزمين حقًّا.

شدّت كلماتُه انتباهَ زوجتِه التي تعاني من كثره تشدُّده معها وتدقيقه في ملابسها خاصةً حينما تخرج من البيت.

- وإذا كنتَ أنت أمامك الكثير لكي تلتزم بالزيّ الإسلامي فلماذا تفرض عليّ ارتداء النقاب، وهل أنا وصلت إلى هذه الدرجة الرفيعة، أم أنَّ ما يحل لك يحرم على غيرك؟!

نظر إليها شَذَرًا وقال لها:

- لن أجيب عليك، وإنما سوف أدعُ شيخي الجليل يجيبك.

أمسك هاتفَه المحمول ونقرَ على الأزرار بسرعةٍ وكَتَبَ رسالةً، ثم بعث بها

إلى رقم البرنامج المكتوب أسفل الشاشة. والذي لا تمر دقيقة دون أن يُنوه عنه الداعية، ويقول أرسِلوا لنا استفساراتكم على الرقم التالي ... ما هي إلا لحظات حتى صدر عن الهاتف المحمول نغمة بصوتِ أحدِ المنشدين: دعاء "اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت" والمصلون يرددون "آمين"

نظر الداعيةُ القابع في جهاز التلفاز إلى الأمام نحو الشاشة التي أمامه بحيث يراها هو ولا يراها المشاهدون، ثم بدرتْ منه ابتسامةُ رضا وقال:

- هناك مَن يسأل عن وجوب النقاب.. أنا أحبُّ مثل هذه الأسئلة التي يُعرف منها ما يجب على المرأة المسلمة أن تتبعه في زيّها ودينها، وتأخذ بوليّها إلى الجنة أو تعتق رقبة زوجها من النار.. أخي الكريم إذا كان الواجب على المرأة أن تكشفَ عن وجهها أثناء الصلاة و أثناء الحج؛ إذًا فهي تستره فيما دون ذلك.

نَظَرَ عبد الجبار إلى زوجته نظرةَ المنتصرِ المُتَشَفّي من عدوه وقال لها:

- أسمعتي ما قاله الشيخ؟ لا تفتحي هذا الموضوع مرةً ثانية.

وَلّتِ المرأة وجهَها مخزولةً مهزومةً عن زوجها؛ إذ لم تستطع أن تحقّق عليه أيَّ انتصار حتى الآن، منذ أن تزوجَها وهو يُنهِي كلَّ المناقشات لصالحه دونَ أخذٍ وردٍّ، وإنما بلهجةٍ حازمةٍ يسرد فيها جزءًا من آيةٍ أو بعضَ حديثٍ، أو يردد فتوى من فتاوى داعيته المفضل يقطع بها دابرَ النقاش، فلا اجتهاد مع النص، وليس للمؤمنين الخيرة من أمرهم إذا قضى اللهُ ورسوله أمرًا..بالطبع حسب ما يراه عبد الجبار.

ولكنها لم تكن بلا حيلة، إنما كانت لها حيلتُها المبتكرة التي تنهي بها النقاش الذي لا طائلَ منه مع زوجها، فتنهي الحديث بقولها:

- أنا داخلة أنام.

ثم تلوح لأولادها:

- هيّا يا أولاد إلى النوم... عندكم مدرسة في الصباح.

وفي الصباح يخرج عبد الجبار إلى عمله في الإدارة الصحية مفتش للأغذية، في تمام التاسعة يفتح مكتبه ويستقبل طلبات المواطنين من الأول ثم الثاني ثم الثالث، كلٌ له مصلحه يود قضاءها. ومع مضي الوقت تزداد أعداد المواطنين وكلما زاد عدد الوافدين ازدادَ تذمُّره وضيقُه.. ليأخذ في البحث في الأورق المقدمة إليه عن أيّ ثغرةٍ يردُّ بها الطلب حتى يخفف من الزحام أمامه، انتصفَ النهارُ، تَرَكَ مكتبَه وأغلقَ الباب، وقال للمواطنين المعطلةِ مصالحُهم:

- لتذهبوا الآن وتعودوا بعد نصف ساعة؛ لأني سوف أذهب لتناول إفطاري وأعود.

لم يستمع لتوسلات الواقفين الذين أتوا من أماكنَ بعيدةٍ وقد لا يستطيعون العودة ثانية، ومنهم من تَرَكَ عملَه وضاع عليه أجرُ هذا اليوم، وليس بمقدورهم إن لم تنقضِ مصلحة اليوم أن يعودوا في الغد؛ لكي يقضوا مصالحهم, ومع ذلك تركهم ومضى إلى المطعم القريب من الإدارة وبعد مضي نصف ساعة فرغ من إفطاره، وقبل أن يتحرك من المطعم اقترب موعدُ صلاة الظهر

فدفع حسابه ليتحرك فورًا إلى المسجد الذي لا يبعد كثيرًا عن المطعم لكي؛ يؤدي صلاة الظهر. دخل دورة المياه لكي يقضي حاجته ثم توضّأ وصلّى أربعَ ركعاتٍ لله سنةَ الظهر ثم صلّى الظهر، جلس يتلو أدعيةَ ما بعد الصلاة، وبعد أن أتَمَّها جميعًا قرأ بعضًا من قصار السور، ثم قام وصلّى أربعَ ركعات سنة ما بعد الظهر، وعلى مهلٍ في خضوع المؤمن الوَرِع وجهُه يتهلّل نورًا، عاد إلى عمله وقد بلغت الساعة الواحدة والنصف فوجد الناس ما زالت تنتظره لم يبرحوا مكانهم منذ أن تركهم قبل ساعتين.

زَفَرَ زَفْرَةً، ثم تَمْتَمَ (لا حول ولا قوة إلا بالله) أَخَذَ بيده أولَ ورقةٍ، نَظَرَ إليها أَشّرَ عليها بتوقيعه, فأخذها صاحبُها وانصرفَ بسرعة، ثم أخذ الثانية وقال لصاحبها:

- تحتاج إلى توقيعٍ من الدور الثالث.

ثم أخذ الثالثة والرابعة وقبل أن يأخذ الخامسة نظر إلى الساعة فإذا بها قد بلغت الثانية بعد الظهر ردَّ اليدَ الممدودة بالطلب، وهو يقول:

- لقد انتهى ميعادُ العمل الرسمي وأنا الآن مُلْزَمٌ بإغلاق المكتب، عودوا في الغدِ بإذن الله.

أغلق المكتب في ظلِّ سَخَطِ وصَخَبِ الواقفين، جلس يرتّبُ بعضَ الأوراق وإذا بنقراتٍ خفيفةٍ على الباب مألوفةٍ لديه، هبَّ من مكانه وكأنه يهب للقاء حبيبته وفتح الباب وهلّل في ترحاب:

- مَن...الحاج محمود مرحبًا بك يا أخي تفضّل.

- جزاك الله خيرًا يا أخ عبد الجبار لقد أتيتُ إليكَ منذ قليل فوجدتُ المكتب يعجُّ بالناس، فآثرتُ أن أنتظرَ حتى يذهب الكلُّ فلا أعطلك عن عملك أو أعطل مصالح الآخرين.

- يا خبر.. أنت.. ينتظر الكلُّ ويتوقف العمل من أجلك.. أنت الحاج الصالح الطيب المؤمن المتدين الملتزم لا يوجد مثلك كثيرون في هذه الأيام.. مُرني ماذا أستطيع أن أقدم لك؟

- قدّم لك اللهُ الخير, فقط جئتُ لك بهديةٍ، اسألُ اللهَ أن لا تردها، بعض من اللبن الذي أوصانا الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بشربِه ممّا يباع هنا في محلاتي في البلد. - بارك الله فيك يا حاج محمود، هذه والله نعم الهدية.

- هل تريد أن تأخذ منّا عينةً لكي تفحصها.

ابتسم محمود:

- ماذا.. أنا آخُذُ عينةً من بضاعتك حاشا لله! وهل أمثالك ممّن حَجّ بيت الله ويصلّي الصلواتِ الخمس في جماعة موضع شبهة؟! لا والله لن أقوم بفحصها ولن أسمح أبدًا أن تُفحص أيّ من بضاعتك، وإن حدث وذهب لك مفتشٌ من عندنا في أيّ وقتٍ واعترض على أيّ شيءٍ عندك ولو كان بسيطًا أخبرني في الحال وسوف أتصرف معه فورًا.

- بارك الله فيك يا أخ عبد الجبار أنت دائمًا عند حسن الظن. أي من طلباتك أو طلبات بيتك... اذهب في أيّ وقتٍ لأيّ من محلاتي، وخذ ما

تريد أيًّا كان.

- بارك الله فيك يا أخ محمود هذا هو العشم أيضًا.

عاد عبد الجبار إلى منزله وأعطى اللبن لزوجته كي تغليه، وفى الصباح غلتِ اللبنَ وقدمته إليه لكي يشربه كما اعتاد أن يشرب اللبن كلَّ صباح.

وبعد عدةِ أيام دخل عبد الجبار في غيبوبةٍ ونُقِلَ إلى المستشفى نتيجةَ خللٍ في وظائف الجسم بسبب مادة الفورمالين الضارةِ التي تُضاف إلى اللبن كمادة حافظة.

obeikandl.com

obeikandl.com

اللوحة

obeikandl.com

obeikandl.com

تلك الغشاوةُ التي تظلِّل وجهَه هي اليوم أكثر من أيِّ يومٍ سبق، ازدادتْ وطغتْ حتى غطتْ وجهَه كضبابٍ يَحْجِبُ عنه الرؤية, جلس صامتًا -والحزنُ يغشاه ويحجب عنه الرؤية- ماذا سوف يحدث لزوجته وأولاده, هل سيموتون جوعًا, وبالكاد كان راتبُه الشهري يكفي لإطعامهم، وماذا بعد أن طُرد من العمل وأصبح بلا عملٍ، و طِفلَاه ما يزالانِ صغيرانِ يحتاجانِ إلى الرعاية وزوجته التي تحملت معه الكثير, ماذا عساها أن تفعل وهي لا تقدر على فعل شيءٍ غيرَ إطعامِ صغيريهما؟

مِن أين يأتي بالمال من أجل أن يطعم هذينِ الجَرْوَينِ الصغيرين اللذَيْنِ يرتعدانِ من برد الشتاء؟ مَن يأتي لهم بالملبس الذي يحمي جلدَهما الصغيرَ الرقيقَ, إنّ باستطاعته هو وزوجتُه تحمُّلَ الجوع، أمّا هما فلن يستطيعا تَحَمُّلَ الجوعِ طويلًا ولن يصمدا وسيموتانِ جوعًا, هل يتركهما يموتانِ جوعًا؟ ويجلس يتفرج عليهما وهما يحتضرانِ، أم يخنقهما بيده حتى لا يتعذبانِ كثيرًا أمامَه وهو عاجزٌ مكتوفُ الأيدي لا يستطيع أن يمدَّ لهما يدَ العون، وليس هذا هو الخطر الوحيد، بل هم مهددون بالضياع والتَّشَرُّدِ في الشارع من الجدران التي تؤويهم بعد أن أصبح عاجزًا عن سدادِ قيمة الإيجار الشهرية.

مضت عدةُ أيامٍ وهو يبحث عن عمل، وأطفالُه يتضوّرونَ جوعًا, وهو عاجزٌ عن صُنع أيِّ شيءٍ، نظراتُ زوجته وشعورُه بالضعف وقلةُ الحيلة كلُّها

أمورٌ تقتله ببطءٍ.. كان يتحاشى نظراتِها التي تلاحقه وتتهمه بالخيبة والعجز كلما وقعت عيناه في عينيها، وكأنّها تقول له: "تصرّف, تحرّك، اصنع أيَّ شيءٍ من أجل أولادك اللذَيْنِ يموتانِ جوعًا"، ولكن ما باليد حيلة, طَرَقَ كلَّ الأبوابِ وسَلَكَ كلَّ السُبلِ وسألَ القريبَ والبعيدَ ومِن بعدهم أصدقاؤه وحتى مَن يمقتهم وخشِي أن ينظر في وجههم، سألهم المساعدة.. فأدارَ الجميعُ ظهورَهم له، الصديق قبل العدو وتخلّوا عنه في محنته. ولكن مِن أين لهم أن يُساعدوه وهم أكثر حاجة منه للمساعدة؟! ولم يبقَ أمامه غيرَ أن يمدَّ يدَه، حتى هذه حَاوَلَ وفَشِلَ. وكلّما مرّ الوقت كانت نظراتُ زوجتِهِ أكثرَ قسوة، ترمقه بنظراتٍ تلفح وجهَه مثلَ صهدِ النار، وكلُّ كلمةٍ تجري علي لسانها مثلُ السّوط تلهب بها ظهره، فكان يهرب طوالَ اليوم، يخرج عند الصباح ولا يعود إلا حينما يتأكد أنها نائمةٌ، وفي يومٍ خَرَجَ ولم يعد.

مضى يومانِ لم يظهر له فيهما أثرٌ حتى بَعَثَ برسالةٍ لزوجته من سطرين: "سافرتُ بعيدًا، لم أعد أحتملُ نظراتِك القاسية ولا صراخَ أطفالي. الموت أهونُ عليّ..تركتُكم كي أوفرَ عليكم طعامَ شخصٍ رابعٍ، يكفي ما عندك كي تطعميهم، أنا لا أقدرُ على إطعامِ أولادي. أنتِ أَقْدَرُ على إطعامِ أطفالِكِ منّي..أسأل الله أن يعينَك" مَزّقَتِ الرسالة، صرختْ وبكتْ وحطّمتْ كلَّ ما في طريقهما، خرجتْ تجري في الشوارع مثلَ المجنونة حافيةً شعثاءَ وهي تُوَلْوِلُ تلطمُ خديّها وتشقُّ طوقَها، ظلّت تجري دون هدى حتى رآها أحدُ

الجيران فاسْتَاءَ لحالِها وأشفقَ عليها، وهَدّأَ مِن رُوعِها وطلبَ منها العودة لبيتها، فأبت إلّا إذا أعطاها اللوحةَ الخشبيةَ التي بيده فأعطاها اللوحةَ والألوان، فهدأتْ وعادتْ إلى بيتها إشفاقًا على صغيريْها.

علّقتِ اللوحةَ على باب بيتها وكتبتْ عليها: أيُّها العالمُ غيرُ المبالي، هَجَرَنِي زوجي الليلة.

وبعد يومين ازدادتْ حالةُ الصغيرينِ سوءًا ولم تدرِ ماذا عساها أن تصنع من أجل إنقاذهما، وفي المساء علّقتِ اللوحةَ على بابِ بيتها مكتوبًا عليها: أيُّها العالمُ غيرُ المبالي أطفالي، يموتون الليلة جوعًا.

أتاها صاحبُ البيت يطالب بإيجار الغرفة التي تسكن فيها هي وأبناؤها، تَرَجّتْهُ وتوسلتْ إليه لعل الإنسانَ الذي بداخله يَرْأَفُ بحالها.

- أرجوك أن تصبرَ علينا هذا الشهر فقط، لقد هَجَرَنِي زوجي ولديّ أطفالٌ صغار يكادون يموتون جوعًا.

- لا يمكن. هذه الغرفة متأخر عليها إيجار شهرين سابقين، إما أن تدفعي أو سأطردكم منها.

- أرجوك لا تفعل هذا واصبر علينا شهرًا واحدًا، وسوف أُسدِّدُ كلَّ الإيجار المتأخر بإذن الله.

فكَّر مليًّا ونَظَرَ إليها طويلًا فاكتشف أنها أنثى يافعةٌ تتجسّد فيها كلُّ مظاهر الأنوثة, حدّق مليًّا في نَهْدَيْها البارزينِ وتفحّصَ جسدَها المكتنز وقال لها:

- بإمكانك أن تدفعي الإيجارَ المتأخرَ، وتحصُلي على بعض المال أيضًا.

فَرحتْ واستبشرتْ خيرًا: - كيف؟

- تعالي إلي بيتي في هذا العنوان, ولن تندمي وسأحلُّ كلَّ مشاكلكِ في لمح البصر.

دسّ ورقةً في يدها ثم انصرف.

أخذتِ الورقةَ وهي مذهولة مشدوهة لا تعرف ماذا تفعل، لو لم تذهب إليه سوف يطردها ويشردها وأولادَها في الشارع، وإن ذهبت فسوف تفقد شرفَها إلي الأبد وبعد تفكيرٍ وجدت أنّ شرفًا مع فقرٍ لا يجتمعان.

وفي المساء علّقتِ اللوحةَ على الباب وكتبت عليها: أيُّها العالمُ غيرُ المبالي، سأبيعُ نفسي الليلة.

إنّ المرء حينما يكون مُقدِمًا على اقترافِ خطأٍ ما، يشعر بأنّ العالمَ كلّه يعرفُ ما هو مُقدِمٌ عليه ويعرف ما يدور بخلده، ويظن أنّ جميع الأعينِ تلاحقه وترصد تحركاته؛ لذا ذهبتْ متخفيةً خشيةَ أن يراها شخصٌ يعرفها. اقتربتْ من العنوان وكلّما اقتربتْ أكثرَ دبَّ الوَهَنُ في قدميها وتثاقلتْ خُطُواتُها، ولم تعد ساقاها قادرتينِ على حَمْلِها، وصلت إلي العنوان ووقفت أمام الباب عاجزةً لا تطاوعها يدها على دقِّ الجرس، ودقاتُ قلبها تتسارع وأطرافُها باردةٌ مجمدةٌ كالثلج، وقد هرب الدم منها وابيضّتْ كأطرافِ الموتى بعد أن يجفّ دمُهم.

ولكنه كان يترقّب قدومَها وفي كلِّ دقيقةٍ يستطلع الشارعَ ولمّا رآها مقبلةً وقد دَلَفَتْ من مدخلِ العمارة استعدَ لوصولها عند الباب, وحينما شعر بها تقف أمام الباب، فَتَحَ البابَ فورًا وَسَحَبَها من يدها إلى الداخل، وأغلقَ

البابَ.

نَظَرَ إليها بلهفةٍ وشوقٍ كنظرةِ أسدٍ يتربّصُ بفريستِهِ, أحاطها بذراعيه واحتضنها بقوةٍ فكاد يعتصرها من فَرْطِ لهفته عليها, وكأسدٍ جائعٍ أَخَذَ يلتهمها بفمِهِ، قَبّلَها بشغفٍ في كلِّ موضعٍ عارٍ فى وجهِهَا وصدرِها, خافت بعضَ الشيءَ وقاومتْ برفقٍ، ووضعتْ مرفقَها حائلًا بينهما، ملّسَ على شعرها وامتدت يداه تتحسّسُ ذراعيها وظهرَها وتستكشفُ موضعَ اللذة في نَهْدَيْهَا، وعندما امتدتْ يدُه إلى أردافها دبّتِ الرّعشةُ في جسدها. أخذت تنتفضُ كالمذبوحةِ وتحوّلتْ مقاومتُها من اللينِ إلى محاولةٍ للتملُّصِ, لكنه أحكمَ قبضتَه عليها فدفعته بكلِّ قوتها، وحرّرت جسدَها من بين يديه وَوَلّتْ هاربةً.

عادت لبيتها وضمتْ طِفليها وهي ترتعد وكأنها تحتمي بهما وهي تبكي.

جاء عمُّ زوجِها زائرًا وداعَبَ طفليها وأعطاهما حلوى, رَبَتَ على رأسِ الصغير، ثم سألها عن أحوالها، أخبرته بالمصاعب التي تواجهها، فقال لها:

- ألا ترغبينَ في بعض المال الذي تنفقينه على صغيرك هذا.

وأشار إلى ابنها الأكبر دون الأصغر.

فَزِعَتْ لأنّ هذه الجملةَ تُذكّرُها بصاحبِ البيت فتساءلت في خوفٍ.

- كيف؟

عندئذٍ دخل أخوها وجلس بجوارها، فأصبحت محاصرةً بين الاثنين.

- أنا أقول لك كيف، بيعي أحدَ طفليك.

- ماذا تقولون أبيعُ أحدَ أطفالي، هل جُننتم؟!

فقال أخوها:

- لا...لم نُجَنّ، ولكن انظري إلي حالك وحال أولادك, هل تريدينَ أن تموتي جوعًا أنت وأطفالك، أو تُطردون ويصبح الشارع مأواكم؟

- أهون عندي من أن أفقدَ أحدَ ابنيّ هذين.

سَحَبَ عمُّ زوجِها وجهَها نحوَه:

- ومَن قال لك أنك ستفقدينه؟!

- أَلَمْ تقل لي أنْ أبيعه؟!

سَحَبَ أخوها وجهَها نحوَه:

- رجلٌ طيبٌ هو وزوجته لا يُنجبانِ، سيأخذانِ الطفلَ يربيانِه أحسنَ تربية، وفي أيّ وقتٍ تريدينَ رؤيتَه سوف تذهبين وترينه في الحال. وبالمال الذي سوف تأخذينه تُربينَ به هذا اليائسَ.

- هل سيسمحانِ لي برؤية ابني؟

سحب عمُّ زوجِها وجهَها نحوَه:

- نعم، في أيّ وقتٍ سوف نشترط عليهم ذلك.

سحب أخوها وجهَها نحوَه:

- المبلغ الذي سيعرضونه عليك كبيرٌ، وسوف يساعدك على تربية ابنِك فقط لو وضعيتنه بالبنك.

سحب عمُّ زوجِها وجهَها ناحيتَه:

- وهو سوف يتربّي في بيئةٍ أفضلَ، وربما يصبح ذا شأنٍ في المستقبل.

سحب أخوها وجهَها نحوَه مرةً أخرى:

- فكّري جيدًا.. أنتِ بحاجةٍ إلى المال. وتَرْكُ أحدِ الطفلينِ يتربّى في بيتِ رجلٍ صالحٍ أفضلُ من فعلِ زوجك الذي هجرك ولم يستطع تحمُّلَ المسئولية.

سحب عمُّ زوجِها وجهَها ناحيتَه مرةً أخرى.

- أ تُحبينَ أن تتراكمَ عليكِ الديون حتى تدخلي السجن ويتشردَ أبناؤك ويضيعوا إلي الأبد؟! إنّ هذه فرصة لا تُعوّضْ.

وظلّ هكذا كلٌّ منهم يسحبُ وجهَها نحوَه حتى أصابها الدوارُ وصرخت وأُغْمِيَ عليها.

وفي الصباح علّقت لوحةً مكتوب عليها: أيُّها العالمُ غيرُ المبالي، سأبيع طفلي الليلة.

جاء أخوها وعمُّ زوجِها ومعهما المشتري، فوجدها تجلسُ القُرْفُصَاءَ, وتضع ابنَها في حِجْرِها متشبثةً به خشيةَ أن يُنتزعَ منها، حَاوَلَ انتزاعَه منها برفقٍ, فلّما وَجَدَها تتشبثُ بِهِ انتزعه منها انتزاعًا, فتشبثت بملابسه إلي آخر لحظةٍ حتى اضطرَ أخوها إلي ضربها على يدها كي تتركه, أخذه وأعطاه للمشتري وقبض الثمن وتَقَاسَمَا العمولة، ورَمَيَا الباقي في حِجْرِها مكانَ طفلِها.

بعد عدةِ أيامٍ داهمتِ الشرطةُ غرفتَها، وألقت القبضَ عليها، وصادرتِ المالَ الذي لم تمسه، ثمّ اقتادوها لقسم الشرطة. وفي قسم الشرطة صَفَعَها الضابطُ على وجهِها، وشَتَمَها بأمِّها وأبيها؛ فالأم التي انتُزِعَت من قلبها الرحمة

وانتُزِعَت من قلبها مشاعر الأمومة لا تستحق الرحمةَ، بل تستحق الإعدام. وباتت الأم التي باعت طفلَها حديثَ كلِّ وسائل الإعلام، الكلُّ طَالَبَ بسجنها أو بإعدامها في ميدانٍ عامٍ.

عُرضت على النيابة العامة وتَمّ الإفراجُ عنها بعد التحقيق بضمان محلِ إقامتها، ثم أعيدت إلى قسم الشرطة كي تتسلمَ طفلَها المباعَ، وتعهّدت بألّا تتركه مجددًا.

كادت أن تطير من الفرح بعد أن عاد إلي حضنها، تلقفته من يدِ الضابط فلن تتركه بعد الآن.

وفي المساء علّقت لوحةً مكتوب عليها: أيُّها العالمُ غيرُ المبالي، اضربوني وسبّوني، وقطعوا لحمي، وخوضوا في عِرْضِي كما شئتم في وسائل إعلامكم فلم أعد أبالي بكم، فلقد عاد طفلي إليّ الليلة.

رحلة إلى بلاد الشمال الباردة

obeikandl.com

obeikandl.com

جلست شاردةَ الذهنِ بجوار نافذةِ الطائرة المتجهة من القاهرة صوبَ برلين.. رحلةٌ انتظرتْها منذُ قرابةٍ 15 عامًا؛ ستلقى ابنتيها لأول مرة بعد فراقِ كلِّ تلك السنوات.

انتبهتْ لنداء قائدِ الطائرة: على السادة الرُّكاب التزام مقاعدهم وربط الأحزمة، فالطائرة تستعد للإقلاع.

نظرتْ إلى يسارها تستكشفُ موضوعَ الحِزام، سحبته من موضعه وحول وسطها، وأحكمتْ إغلاقَه. رَنَتْ ببصرها صوبَ مدرجِ الطائرات، رَأَتْهُ سرابًا يتراقص كما صفحة الماءِ الناتجِ عن انعكاس ضوء الشمس على الإسفلت فَبَدَا كالبحيرة الصغيرة في وسط المدرج، ورغم أنّ شهر أكتوبر يكاد ينتهي في القاهرة إلّا أنّ الجوَّ شديدُ الحرارة. هي تعلم أنّ الجوَّ في ألمانيا باردٌ جدًّا في مثل هذا الوقت من العام، احتارت هل ترتدي الملابس الثقيلة في هذا الجوّ الحار في القاهرة، أم ترتدي ملابسَها العادية ومن ثَمّ تتعرضُ لبرودةِ الجوّ في ألمانيا؟ قررتْ أن تُمسِكَ العصا من المنتصف، ترتدي ملابسَها الصيفية وفي نفس الوقت تحتفظ معها بالبالطو الثقيل ترتديه حالَ نزولها إلى أرض المطار في ألمانيا. تحرّكتِ الطائرةُ على المدرج رويدًا..رويدًا حتى بلغت سرعتها المدى المطلوب كي ترتفع في الهواء، يكاد أزيزُها يصمُّ الآذان، ارتفعتِ الطائرةُ في الهواء، حتى بلغت السحاب. نظرت إلى القاهرة من أعلى وهي تبتعد، ليست هذه المرة الأولى التي تسافر فيها بعيدًا عن الوطن، ولكنها تختلف عن

كلِّ المرّات السابقة التي كانت تبتعد فيها عن أحبّائِها، فهذه المرة تقترب من أحبِّ إنسانتينِ إليها، ابنتيها، بعد ساعاتٍ ستلاقيهما بعد فراقٍ دام ما يقرب من 15 سنة منذ أن خطفهما والديهما، وهرب بهما بعيدًا إلى حيث لا تعلم. من يومها وهي تكابد مشقةَ البحث عنهما وعذابَ فراقهم، بحثتْ عنهما في الشرقِ والغرب، أنفقتْ كلَّ ما تملكُ في سبيلِ البحث عنهما، طافتْ كلَّ الدولِ العربية، وأغلبَ دولِ أوربا، في كلِّ مكانٍ وفي أيِّ مكانٍ كانت تتوقّعُ وجودَهما فيه، أو حتى لا تتوقّع، كانت تجري وراءَ أيِّ خيطٍ يدلها عليهما حتى لو كان خيطًا واهنًا. طيلةَ كلِّ تلك السنوات لم تفقد الأمل، ولم تَهِنْ عزيمتُها، ومع مضي الأيام كانت تزداد إصرارًا وتصميمًا وهاهي قابَ قوسين أو أدنى من تحقيقِ حلمها. أغمضتْ عينيها لعل النومَ يُقرِّبُ المسافةَ، فإذا بها تتذكَّرُ الرحلةَ من أولها كشريطٍ سينما يمرُّ أمامها منذ أن أُعيرت لدولةِ الكويت كمدرسةٍ في إحدى مدارس العاصمة الكويت حيث التقت هناك بزوجها عدنان الفلسطيني، كان يعمل مهندسًا في إحدى شركات المقاولات الكويتية. أوكلتْ إليه مهمةَ الإشراف على بعض الإنشاءات في المدرسة التي تعمل بها، تعرفت عليه عن طريق إحدى زميلاتها، هي في نفس الوقت من أقارب عدنان. ومع الأيام اقتربت منه أكثر كانت تقضي معه كلَّ وقتِ فراغِها، أو تراقبُه وهو يعمل. سَحَرَها ذكاؤه ولباقتُه وقوةُ شخصيته، يعطى التعليمات للعمال بأسلوبٍ سلسٍ وحازمٍ لا يخلو من مرحٍ، عنيدٌ، لديه قدرةٌ على التغلب على كلِّ الصعاب حتى يصل إلى ما يريد. أحبّتْهُ وأحبّها،

طلب الزاوج منها، طارت من الفرح. لم تفكر في كلِّ العقبات التي قد تعترضُ طريقَ زواجِهما بسبب اختلاف جنسيتهما وتضارب القوانين بين كلٍّ من مصرَ والكويت، ووضع فلسطين القانوني المعقد دوليًّا, فكل هذا لم يكن ليعيق زواجهما مهما بلغت الحواجز. بعثتْ برسالةٍ إلى والدها في مصر تطلب منه الإذن بالزواج، لكنه رفض, لعلمه المُسْبَقِ بمدى المصاعب التي ستواجه أولادها فيما بعد؛ لأن أباهم ليست له جنسية معترف بها دوليًّا، كما أنّ قانون الجنسية المصري لا يُعطي الجنسية لأبناء المصرية في الوقت الذي يمنح الجنسية مباشرة لأبناء المصري. لم يكن رفضُ أبيها ليمنعها من إتمام الزواج ممّن تشاء؛ لأن أباها يبعد عنها آلاف الأميال, هو في مصر وهي في الكويت. تزوجته في حفل متواضع لم يحضره إلا بعضُ الأصدقاء من المصريين العاملين بالكويت، وبعضُ أقاربِ وأصدقاءِ عدنان المقيمين في الكويت. أرسلتْ برقيةً إلى أهلها في مصر تُخبرُهم فيها بزواجها, رغم عدم رضاهم. أُصيبَ والدُها بجلطةٍ في القلب كادت أن تفقده حياته لولا سترُ الله إثرَ سماعه الخبر. أيقنت أحلام حينئذٍ أنها لن تستطيع العودة إلى القاهرة بعد ذلك، وأنّ صلتَها بأبويْها قد انقطعت إلى الأبد.

عملت مع زوجها عدنان في الكويت طوالَ خمسِ سنواتٍ, لا هَمّ لهما سوى جمعِ المال، المال الذي أصرَّ عدنان على إيداعه في أكثر من بنك وفي أكثر من دولة حول العالم. بدا لها هذا التصرف مستغرَبًا منه، ولم تفهم

مغزاه إلا فيما بعد، وكلما مرّ الوقتُ تقلّصتْ دائرةُ أصدقائها؛ إذ غَادَرَ منهم الكثيرون عائدين إلى بلادهم كلّما شعروا بالوحدة. وازدادت رغبتُهما في جمعِ النقود وتكديسِها في البنوك، والباقي يشترون به مَصَاغًا.

رَزَقَهُمَا الله ببنتينِ: ريم التي وُلدت بعد زواجهما بسنتين، وبعدها بسنتين وُلدت مريم. عندئذٍ شعرت بأنّ الدنيا تفتح لها ذراعيها وتبتسم لها وتود أن تأخذها في حضنها، ظنت أحلام أن أسرتها الجديدة سوف تعوّضها عن أسرتها القديمة في مصر، إذ لم تعد أسرتُها تراسلها أو ترد على رسائلها وبعد عدد من الرسائل أرسلوا لها خطابًا قصيرًا كُتِبَ فيه: لا تُرسلي لنا رسائلَ بعد الآن؛ فإننا متبرئون منك، ونَعُدُّكِ في عِدادِ الأموات. أصابتها تلك الرسالةُ بصدمةٍ وبحالةٍ من الحزن العميق تَرَكَ أثرًا في قلبها لسنين عدة وجرح لم يَنْدَمِلْ، ولكنّ رؤيتَها لطفلتيها تكبرانِ أمام أعينها, يزيد بداخلها الأمل أنهما سيعوضانِها عن قطيعتها مع أهلها. أصبحتا هما أهلها ووطنها والتي لا تعرف غيرهما، كبرا حتى بلغتْ ريم الثالثةَ قبل أن تبلغَ مريمُ عامَها الأول.

اجتاحت القواتُ العراقية الكويت، وغطّت سحابةً سوداءَ كئيبةً من الدخان الأسود سماء الكويت حتى حجبت شمسَ شهر أغسطس الحارقة، وأصبحت تُنْذِرُ بقدومِ الشر، ما إن بلغهم أنّ القواتِ العراقية تَجِدُّ في البحث عن المصريين بسبب موقفِ قيادتِها السياسية الرافض للغزو، حتى

دبَّ الرعب في قلب أحلام, وطلبت من زوجها الهربَ فورًا من الكويت إلى أيّ بلدٍ قبل أن تُدركَهم القواتُ العراقية فحتمًا لو لم تدركهم القوات التي تلاحقهم، فستدركهم رصاصاتُهم وقنابلهم وصواريخهم التي لا تعرف الرحمة.

جمعوا كلَّ ما استطاعوا حملَه من أموالهم ومصاغهم والقليل من ملابسهم. الآن فقط فهمت لماذا أصرَّ على إيداع أموالِهما في أكثر من بنك في أكثر من بلد, فقد علّمته تجاربُ الحياة الكثيرة هو وأهلُه من قبل عَبْرَ سنواتِ الشّتَاتِ في كلِّ بلادِ العالم أنه لا يوجد أمانٌ دائمٌ مهما طال، وإنّ أتفهَ الأسبابِ وأبسطَ الخلافاتِ السياسية بين النُّظمِ الحاكمة قد تُضِيعُ كلَّ ما كَدَحُوا سنينَ يجمعونه.

وأثناء رحلة الهرب تجلّى لها أنّ أمرَ المال هذا ما هو إلا الجزء اليسير ممّا تعلمه من سنوات الشتات، أما الجزءُ الأهم فهو مهارته القصوى في الهرب من العصابات التي انتشرت على طول الطرق المؤدية إلى الدول المجاورة للكويت؛ لسرقة الفارّينَ من الغزو، سَلَكَ طُرقًا غيرَ اعتيادية قد تكون وَعِرَةً وغيرَ مُمهّدَةٍ وطويلةً وأكثرَ طولًا إلّا أنها أكثرُ أمانًا ولا يعرفها الكثيرون, دَرَسَ هذه الطرق منذ وطأتْ قدماه دولةَ الكويت، وكأنه كان ينتظر هذا اليوم.

هربوا إلى السعودية، ومنها تمّ ترحيلهم إلى مصر.

وفي مصر حاولت لقاء والديها، لكنهم رفضوا أيَّ محاولةٍ منها أو وساطةٍ من أحدٍ؛ كي يسامحوها وينهوا قطيعتها. حَزِنَتْ كثيرًا للجفاء الذي عاملها به

والداها رغم علمهما بحجم المأساة التي عاشتها خلال الأيام الماضية.

مكثوا عدةَ أشهرٍ في القاهرة، لكنهم لم يوفقوا خلالها في إيجادِ عملٍ مناسبٍ لزوجها؛ لذا اتفقا على الرحيل إلى لندن حيث يعمل ابنُ عمٍ له، كان عدنان يرسل له مبالغ من المال يدعها باسم عدنان في البنك. لم يطبْ لهم المقامُ في لندن كثيرًا، رحلوا إلى باريس وهناك كانت الصعاب أكثرَ، والبحث عن عملٍ أصعبَ، وتجديد الإقامة ليس بأمرٍ هينٍ, بعد عدة أشهرٍ من إقامتهم في باريس بدأت معاملتُهُ لها تتغيّر، بَدَا عصبيًّا يثور لأتفهِ الأسباب، يسهر خارج البيت حتى وقتٍ متأخرٍ، اشتمتْ رائحةَ عطرٍ نسائيٍّ على ملابسه، وخصلات شعر شقراء علقت بالجاكت، وأحمر شفاه يلوث منديله، ملأ الشكُّ قلبَها، أصبح شوكًا يقضُّ مضجعها، أ يخونُها بعد أن ضحّتْ بكلِّ شيءٍ من أجله؟!

أيخونها في نهاية المطاف بعد كلِّ هذه الرحلة الشاقة وتعرضهما وابنتيهما للموت لآلاف المرات عبر الرحلة من الكويت إلى السعودية إلى مصر إلى انجلترا وصولًا إلى فرنسا. واجهته بخيانته فلم ينكر، وعلّل ذلك بأنه لمصلحتها هي وبنتيها، وأنّ العلاقة بالمرأة الأخرى مؤقتةٌ، فقط لكي يأخذ الإقامةَ له ومن ثَمّ لبناته. ولكن كيف والقانون لا يسمح بتعدُّدِ الزوجات؟ قال لها أنه سوف يُطَلِّقُها لفترةٍ وجيزةٍ بعدها سيرُدّها إلى عصمته حالَ حصولِه على الإقامة، ذُهلت، ورفضت، وبكت، وأصرّتْ على العودة بابنتيها إلى مصر

وإزاء إصرارها تراجَعَ عن أفكاره.

وفي اليوم التالي عزمها على المسرح كشكلٍ من أشكالِ الاعتذار، كانت مسرحيةً كوميديةً أضحكتها كثيرًا بشكلٍ لم تعهده منذ خروجها من مصر أولَ مرة إلى الكويت. عادت إلى البيت سعيدةً؛ لأنها نجحت في الحفاظ على بيتها وزوجها وبناتها.

وفي الصباح.. وجدت جوارَها في السرير خاليًا إلّا من ورقةٍ كُتِبَ فيها: أخذتُ البناتِ معي.. لا أستطيع العيشَ بدونهم، لا تُحاولي البحثَ عنّا فلن تجدينا في فرنسا كلها.

جَرَتْ كالمجنونةِ تبحثُ عنهم في كلِّ أرجاءِ باريس، لم تجد لهم أثرًا. سألت في كلِّ المطارات، لم يغادروا عن طريق المطار، أبلغتْ كلَّ الجهاتِ المسئولة، تقدّمت بشكوى إلى كلِّ السفارات والقنصليات المعينة فلم تجد ردًّا. سافرت إلى لندن لعلها تجده عند ابنِ عمّه، لم يره منذ أن سافر إلى باريس. عادت إلى مصرَ مهزومةً مكسورةً بعد ما أنفقتْ تقريبًا كلَّ ما لديها في البحث عنهم في كافة أرجاء أوربا. ظنت أنّ أهلها لا يرغبون في رؤية وجهِها بعد كلِّ تلك المدة إلّا أنّ المبادرة جاءت منهم بعد أنْ بَلَغَهم نبأُ هروب زوجها وخطفه لابنتيها ومدى المعاناة التي تَكَبّدَتْها في البحث عنهما.

وفي مصر لم تنتهِ مهمةُ البحث، بل بدأت وخلال السنوات التالية سألت

عنه في سفارة فلسطين في القاهرة، وراسلت كلَّ مَن تعرف أنهم يعرفونه, وطلبت منهم أن يخبروها إذا ما رآه أحدُهم أو سَمِعَ عنه أيَّ خبرٍ. جَدَّ في مساعدتها العديدُ من الأقارب والأصدقاء، راسلتْ كلَّ الصُّحفِ ووسائل الإعلام، أجرتِ العديدَ من الأحاديث التلفزيونية والإذاعية، كان بكاؤها حارًا من القلب في كلِّ لقاءٍ، تطوّع أهل الخير والمروءة لمساعدتها، دلّها أحدُهم على مخبرٍ خاصٍّ عربيٍّ مقيمٍ في لندن متخصّصٍ في البحث عن المفقودين.

بَدَأَ المخبرُ مهمتَه.. سأل عنه المخبرُ في كلِّ مكانٍ قد يكون مرّ عليه، جَمَعَ عنه معلوماتٍ من شركاتٍ طيران عديدة في أوربا، استخدم معارفَه ونفوذَه في السفارات والقنصليات العربية والأوروبية وكذلك مكاتب العمل والهجرة في كافة أرجاء أوروبا، جمع عنه تحريات من أكثر من بلدٍ تردّدَ عليها طيلةَ كلِّ تلك السنوات الماضية، تَتَبَّعَ خُطاه مِن يوم اختفائه بابنتيه. هرب من فرنسا إلى بلجيكا برًّا وتزوّج هناك المرأة الفرنسية. حصل علي الجنسية، ثُمّ طَلّقَها وعاد إلى باريس، من هناك غَادَرَ إلي سويسرا عمل هناك بعض الوقت ثم تركها متجهًا إلى ألمانيا حيث استقر هناك في برلين، حيث عثر المخبرُ الخاص على ابنتيها في برلين، ريم متزوجة من ألمانيٍّ مسلمٍ ذِي أصولٍ تركية لها منه طفلةٌ أسمتها سارة، أما مريم فطالبةٌ وتعمل في سوبر ماركت في برلين.

توجّه المخبرُ أولَ ما توجّه إلى مريم، رأى الدمعَ في عينيها فورَ سماعها كلمةَ أمِّك، وكاد يبكي هو أيضًا من فَرْطِ بكائها.

ما هي إلّا ساعات وتراهما، كم هي ساعات ثقيلة.. لو كان هناك ما هو أسرع من الطائرة لركبته.

وصلتْ بسلامٍ وما إن وَطِئَتْ قدماها أرض المطار حتى شعرت ببرودة شديدة تجتاح جسدها بسبب فارق درجات الحرارة البالغ خمس عشرة درجة عن القاهرة، ولكنّ مخزونَ الحرارة والشوق لرؤية ابنتيها يُشعرانِها بحرارةٍ لا يشعر بها سكانُ خط الاستواءِ.

صالة الوصول..كم هي سخيفةٌ ومملةٌ إجراءاتُ الوصولِ رغم أنها مرّت بهذه الإجراءات عشرات المرات، ولكن هذه المرة تختلف.. ألا يعلم هؤلاء أنها جاءت كي تضم ابنتيها إلى حضنها بعد كل تلك السنوات، ألا يُقدِّرونَ موقفَها هذا ويتجاوزون عن بعض الإجراءات في سبيل بضع دقائق زيادة تقضيها مع بناتها.

وجدتِ المخبرَ الخاص في انتظارها، استقبلها بحفاوةٍ، وصافحها بحرارةٍ، ثم سألها

- هل حجزتي في أحد الفنادق؟

نظرتْ إليه في استياءٍ وكأنها تقول: هل أنت أبله! أحجزُ في فندق وعندي ابنتان في برلين!، ثم قالت في حماسٍ:

- أيُّ فندق! لقد جئت للقاء ابنتي لا لسياحة، خذني الآن إليها على الفور.

فأجابها بعد تردُّدٍ كأنه يخشى أن يحبطها:

- قد يكون الوقتُ غيرَ مناسبٍ؛ فموعدنا في الغد.

- وهل امرأةٌ مثلي تستطيع الانتظار إلي الغد؟! خذني الآن إليها لقد جئتُ للقاء ابنتي لا للبحث عن وظيفة.

خضع المخبر لرغبتها؛ فمجرد النظر إلى عينيها الذابلتين تشعرك بمدى اللهفة فيهما للقاء ابنتيها، أوصلها إلى حيث شقة ابنتها الكبرى ريم، وقفت أمام الباب ساكنة للحظات لا تجرؤ على دقِّ الجرس، حاوَلَ المخبرُ دقَّ الجرسِ، فمنعته بحركةٍ من يدها. وضعت كفيها على وجهها وقرأت بعضَ آيات القرآن حتى تستجمع قواها، أخذت نفسًا عميقًا، واستجمعت شجاعتها، ثم مدّت إبهامها وسحبته مرتين قبل أن تدقَّ الجرس.

لتفتح لها شابةٌ دون العشرين سمراءُ نحيلةٌ ما إن رأتها حتى نبضت شفتها: "مريم"، فأجابت بنعم دون أن يخرج من حنجرتها صوت. قلبُ أحلام هو من دَلّهَا أنّ هذه هي ابنتها الصغرى، احتوتها في حضنها وأغرقتها بقُبلاتها ممزوجة بدموعها حتى اختنقَ صوتُها من شدة البكاء، وهي لا تردد غير كلمة واحدة: يا عمري .. يا عمري. وعلى إثرِ هذه الضجة قدمت ريم تستطلع ماذا يجري عند باب شقتها، لكنّ مشهدَ أختها في أحضان أمها ألجمها في مكانها ولم تشعر بنفسها إلّا وهي مرتمية في أحضان أمها، ثم ضمتهما معًا إلى الصدر

الذي طالما اشتاقَ إليهما، ومزقته لوعةُ الفراق.

وسط حالة من البكاء الجماعي لم يجد المخبر ما يقوله، فأستأذن في الانصراف، وأغلقَ الباب خلفه. اصطحبت ريم أمَّها إلي حجرة الجلوس وعَرّفَتها بزوجها، جلست أحلام على أريكة عريضة وأجلست ابنتيها بجوارها كي يَظَلّا مُلْتَصِقَتَيْنِ بها فلو كان الأمر بيدها لظلت ملتصقةً بهما هكذا إلي الأبد. أفرغت لهما مخزون الذكريات المؤلمة منذ أنْ فقدتهما إلى اليوم الذي جمعهم الله فيه، وظلّت لساعاتٍ تحكي كلَّ التفاصيل حتى الصغير منها وسألتهما عمّا مرّا به خلال الفترة الماضية، وكيف كان حالُهما بدونها؟ وكيف كان يعاملهما والدهما؟ وماذا كان يحكي لهما عنها؟ أحزنها أنه لم يخبرهما عنها سوى أن علاقتَها به منقطعةٌ منذ فترة طويلة وقد تركهما منذ فترة طويلة، وأنهما تعتمدانِ على نفسيهما منذ الصغر.

وشيئًا فشيئًا بدأتْ حرارةُ اللقاءِ الأول تَبْرُدُ، والشوقُ الذي كان ينبض من ابنتيها اختفى، وكلّما مرّ الوقت ترى زوجَ ابنتِها ينظر إلى ساعةِ الحائط المُعَلّقةِ أمامه ويشير بعينيه إلى زوجته فتساءلت أحلام:

- هل توجد مشكلة؟

نظرت ريم إلى الساعة وقالت:

- لا شيء.. فقط لقد تأخّرَ الوقت.

نظرت الأم إلى الساعة:

- لم تتجاوز العاشرة مساءً بعد.

فقالت ريم بجديةٍ:

- ولكننا في ألمانيا نعده وقتًا متأخّرًا جدًّا ويجب علينا أن ننام؛ لأن عندنا عمل في الصباح، هل تودينَ أن أَصْطَحِبَكِ إلى الفندق؟

وَقَعَتْ كلمةُ الفندق عليها كصاعقةٍ، وتسربت إلى جسدها برودةٍ لم تكن تشعر بها وهي بالخارج، رغم أن الشقة مجهزةٌ بنظامِ تدفئةٍ.

- فندق! ألن تستضيفاني لهذه الليلة على الأقل؟!

فجاءتها إجابةٌ باردةٌ من ريم:

- ليس لدينا متسعٌ لاستضافة أيّ أحدٍ، حتى مريم سوف تذهب الآن؛ لأنها تقيم في بيتٍ لشبابٍ وله مواعيد.

اجتاحَ الأمَ سيلٌ من الأحزان فلم تكن تتصوّرُ أنها بعد كلِّ هذه الرحلة الطويلة من البحث والعناء سوف تصل إلى هذا البحر المتجمد البارد الذي أفرغته المادةُ من المشاعر، فأصبح خاويًا لم يحتفظ حتى بعاطفة الأمومة.

وقفت وقالت:

- نعم، عليّ الانصراف الآن لأني أكاد أتجَمَدُ من البرد فشقتك باردة جدًّا بشكلٍ لا يُحتمل.

أخي.. هذا ابني

obeikandl.com

obeikandl.com

وقف الأخ الأكبر بحدةٍ، وقال بحسمٍ مُنْهِيًا الجلسةَ:

- هذا آخرُ كلامٍ عندي، ليس لأيٍّ منكنّ حقٌّ في أرضِ أبي، والتي ترفضُ منكنّ المبلغَ الذي عرضتُه عليها ثمنًا للأرض، ورثها من أبيها .. تخبط رأسها في الحائط. لقد تزوجتُنّ من خارج العائلة وأولادكن لا يحملون لقبَ عائلتنا، ولن أسمح أبدًا أن يأخذ الغرباءُ أرضَ أبي وجدي ولو على رقبتي.

صدمت هذه الكلماتُ الأخواتِ الثلاث وظللنَ للحظاتٍ واجماتٍ حتى نطقتْ أكبرُهنّ وقالت في تهديدٍ تظنُّهُ سيكون ناجعًا:

- إذن فسوف نلجأ للمحاكم طالما الحديث الوديّ لم ينفع.

انقلب وجهُ أخيها الأكبر واحمرت عيناه:

- سوف تلجئينَ للمحكمة. مَن تريد منكنّ أن تلجأ للمحاكم فلتفعل، لكن لا تلومنّ إلّا نفسَها. لكل منكنّ أولاد، والتي لا تخشى على أولادها تلجأ للمحكمة.

صُعقت الأخواتُ من تلك الجملة الصادمة, فمهما كان الخلاف بينهم لا يصل إلى حد التهديد بالقتل، وكأنهم ليسوا إخوةً من دمٍ واحدٍ!

انصرفَ الأخُ الأكبرُ وتَبِعَهُ إخوانُه الرجالُ الأربعةُ، والوُجومُ ما زال يسيطر على الأخوات، لا يدركن ماذا عليهن أن يفعلن، حتى انفجرتِ الوسطى قائلةً:

- حسبنا الله ونعم الوكيل..

موجهةً كلماتِها للصغرى لعل عندها حلًّا، ولكنّ الصغرى كانت أكثرُهن

صدمةً وما زالت مذهولةً ممّا سمعت, فلم تسمع ولم تشعر بأحدٍ حولها حتى وصلت إلى بيتها, وظلّت تفكّر طوالَ الليل، لم يغمض لها جفنٌ حتى الصباح إلى أنْ هَدَاها تفكيرُها إلى أن تكتبَ خطابًا لأخيها تردُّ على التهديد الذي هَدّدَهُم به بالأمس. استدعت أكبرَ أطفالِها، وأعطتْهُ قطعةَ قماشٍ وسكينًا والخطابَ، وقالت له:

- اذهب إلى دارِ خَالِكَ وأَعْطِهِ هذه الأشياء ولا تتركه إلى أن يعطيك الرد.

ذهب الطفل المطيعُ لأمِّه على الفور إلى دار خاله، ولأنّ المسافةَ قريبةٌ لم يستغرق الطفلُ سوى دقائق، ودخل على خاله وهو جالسٌ بالمندرة، وأعطاه الأشياء التي أخذها من أمه. دُهِشَ الأخُ الأكبر من الأشياء الغريبة التي جاء بها الطفلُ من عند أخته الصغرى، فَتَحَ الخطابَ لعله يجد إجابةً عن مغزى هذه الأشياء التي بعثتها له، وقرأَ:

"أخي هذا هو ابني ومعه كفنٌ وسكينٌ لقد سَاوَمْتَنَا على حقّنِا في أرضِ أبينا وسلامة أولادنا؛ لذلك إذا كانت روحُ ابني هي الثمن لحقّي فخذها وأعطني حقّي، إنّ الحياة ليست لها قيمةٌ بدون الحق ولن يستطيع هذا الطفلُ أن يتربّى دون حقّ أمه؛ فأنت تعلم الوضع الذي نحن فيه جيدًا، كذلك لا أود أن يكبر وفي داخله حقدٌ عليك؛ لأنك حجبتَ عنه حقَّه؛ لذلك أرسلتُه إليكَ كي تأخذَ روحه فأنت أولى بدمه، لكن تذكّر أنه جاء إلى هذه الدنيا على يديك".

طوى الأخُ الأكبرُ الخطابَ وأمسكَ بالسكين وَهَمّ أن يضعَها على رقبةِ ابن أخته وما إن نظر في عيني الصغير حتى هاجمتْهُ الذكريات، فمنذ الوهلة الأولى التي رأى فيها هذا الطفل بعد لحظات من مولده، وهو يعتبره واحدًا من أبنائه بل أعز أبنائه؛ فهو لم يشهد مولدَ واحدٍ منهم، أما ابنُ أخته فقد شاهده وهو مُلْقًى على الأرض، قطعةُ لحمٍ حمراءُ بجوار أمه، التي داهمتها آلامُ الوضع دون أن تجدَ مَن يساعدها أو حتى يطلب لها المساعدة، وزوجُها غائبٌ يعمل في ليبيا. شيءٌ ما دفعه في هذه اللحظة كي يذهب ليطمئن عليها، فيشاهد هذا المشهد الفريد الذي أثّرَ فيه أكثرَ مِن أيّ شيءٍ شاهده في حياته من قبل.

رفع السكينَ عن رقبةِ الصبي ثم دَسّهَا تحت جلبابه، وقال للصبي:

- اذهب إلى أمك، وقُلْ لها خالي يقول لك إنه في انتظارك.

obeikandl.com

أب وابن

obeikandl.com

obeikandl.com

وَقَفَ الأبُ أمام السيارة كي يمنعَ ابنَه من التّحرك بها وفي لهجةٍ حادةٍ قال له:

- إلى أين ستذهب بسيارتي يا ابن الزانية؟ ألم آمُرك بعدم الخروج بها دون إذني؟ ومَن هؤلاء الصيع الذين تصحبهم معك؟

شعر الابن بالحرج من أصدقائه بعد أن كشف أبيه كذبتَه عليهم، ونَعَتَهُ بمثل هذا اللفظ الفاحشِ أمامهم.

وفي هياجٍ.. خَرَجَ من السيارة وَصَفَعَ البابَ خلفه في محاولةٍ منه لِلَمْلَمَةِ كرامته المهدرةِ، وقال لأبيه في تحدٍّ سافرٍ:

- في داهية ليس هذا من شأنك.

فما كان من الأب إلّا أن صفعه على وجهه، وأهانه للمرة الثانية أمام أصدقائه

- يا ابن الكلب تتبجح في وجهي، سوف أربيك ياعديم التربية.

كانت مثل هذه المشاحناتِ معتادةً بين الأب وابنه، كثيرًا ما وَجّهَ الأبُ لابنه أفظعَ الألفاظِ، والابن لا يتورّعُ أن يعلو صوته في وجهِ أبيه, ولكنّ الإهانة أمام أصدقائه جرحت كبريائه, وجعلته أكثرَ إصرارًا على تحدي أبيه. ركب الابن السيارة وأدار المفتاح وشغل الموتور.. وقف الأب أمام السيارة واضعًا يدَه في وسطه متحديًّا ابنَه أن يتجاوزه ويتقدم بالسيارة, ضغط الابن على البنزين مرتين محذرًا أباه أنه لن يكترث به وسوف يدهسه بسيارته إن لم يبتعد عن طريقه، ولكن الأب أمعنَ في عناده ولم يفسح له الطريق,

وبانفعالٍ شديدٍ حرّرَ الابنَ مَكَابِحَ السيارة وضغطَ على البنزين ضغطةً قويةً جعلت إطاراتِ السيارة تتحرك في مكانها بعنفٍ محتكًّا بالإسفلت ممّا ولد دخانًا كثيفًا ممزوجًا برائحة احتراق الكاوتش, والأب ما زال واقفًا لم يستوعب بعدُ مدى تهورِ ابنه, وبكلِّ الحقد الكامن في أعماق البشر، صَدَمَ الابنُ أباه صدمةً أوقعته على مقدمةِ السيارة, تشبثَ الأبُ بالغطاء الأمامي للسيارة بكلِّ قوتِه خشيةَ أن يسقط أمام السيارة وتدهسه عجلاتُها، ولم يمكث الأب على هذا الوضع سوى لحظات, انتابته فيها كلُّ مشاعر الخوف والفزع، وشَعَرَ باقتراب الموت آلاف المرات، والابن يندفع به مخترقًا طريقه بين العربات.

سَحَبَ الابنُ المكابحَ وتوقفت السيارة فجأةً بعد أن كانت تسير بأقصى سرعة لها، أفلتت يدي الأب واندفعا إلي الأمام وسقط علي الأرض بفعل القصور الذاتي، تراجَعَ الابنُ بالسيارة عدةَ أمتارٍ إلى الوراء، ثم اندفَعَ نحوَ جسدِ أبيه المُلْقَى على الأرض كي يسحقَه تمامًا، ولكنه أدرك أنّ الناسَ قد انتبهت وتجمعتْ مذهولةً من صورة الأب وهو مطروح على مقدمة السيارة، فتجنّبَ صدمَهُ بالسيارة وفرَّ هاربًا.

عذراء في بيت المتعة

obeikandl.com

obeikandl.com

لاحت على وجهها ابتسامةٌ لمّا رَأَياهُ قادمًا. أثارت هذه الابتسامةُ الشكَّ في داخله

فلا بد أن وراءها مقلبًا سخيفًا من مقالبها التي تجرّع منها الكثير، قبل أن يأتي حاول التملُّصَ منهما بشتى الطرق واختلقَ في ذلك الكثير من الأعذار، إلّا أنهما أصرّا عليه وألحّا إلحاحًا شديدًا، وتحت وطأةِ إلحاحهما ضعف ولبّى دعوتهما ونَزَلَ كي يقابلهما، فوجدهما بانتظاره عند مدخل العمارة على وجههما تلك الابتسامة التي يعرفها جيدًا، وفي محاولةٍ منه لمعرفة ما يدور بداخلهما سأل سؤالًا ساخرًا:

- هل قامت الحرب وتنويانِ التّطوعَ للجهاد؟

كان سؤالًا غيرَ مباشرٍ لأنه يعلم بخبرته الطويلة مع مَقَالِبِهما أنّ السؤالَ المباشرَ يجعلهما يُراوغانِ، ويمطرانِه بسيلٍ من الأكاذيب التي تَتِيْهُ في وسطها الحقيقة، تتبعها وصلة غنائية طويلة عن الصداقة ومعاني الصداقة، ومدى تفانيهما من أجل صداقته، فهما لا يُفرطانِ في صداقته، ويتحملانِ شكَّه وعدمَ ثقته فيهما رغم كلِّ ما يبذلانه من أجل أن يؤكِّدَا على مدى المشاعر العظيمة ومشاعر المحبة التي يكناها له، ووسط هذا السيل يشعر بالحرج فلا يُصرِّحُ لهما أنهما دائمًا ما يضعانِه في مواقفَ محرجةٍ, فَيُفَضِّلُ الصمتَ على ألا يبدأ الإسطوانة من البداية، لذا ابتكرَ حيلةَ السؤالِ غيرِ المباشر والتي أثبتت نجاحها في مواجهة استراتيجيتهما في الهجوم، واستطاعَ أكثرَ من مرةٍ أن يكشف حيلتهما ويفسد عليهما مخططاتهما، ولكنهما فَطِنَا لهذه الحيلة

وغيّرا أسلوبهما هذه المرة وبَادَرَا بالكذب.

لا حربَ ولا قتال، كلُّ ما في الأمر أنّ أحدَ الأصدقاء يقيم حفلًا في منزله، ونَوَدُّ أنّ تذهب معنا.

وجد حسام فرصةً جديدةً للفرار.

أيُّ صديقٍ هذا الذي يقيم حفلًا في بيته؟ ما اسمه؟

بَدَتْ على ماجدٍ علاماتِ المفاجأة من سؤال حسام عن اسم هذا الصديق، وبعد لحظات من التفكير، قال:

- وليد.

مَن وليد هذا؟ أنا لا أعرفه ولا أذهب لأيِّ أحدٍ لا أعرفه ولم يوجه لي الدعوة.

هبّ حسام بالانصراف، فأسرعَ جمال وقَطَعَ عليه طريقَه.

- وليد هذا صديقنا نحن، وقد سمع عنك الكثير مِنّا ويود أن يتعرف عليك، لذا طلب منّا أن ندعوك لحفلته.

أحسّ حسام أنّ فرصتَه في الفرار قد ضاعت، ولكنّ إصرارهما أثارَ فضوله ودفعه لمعرفة ما هي خدعتهما هذه المرة؟، فقرر أن يذهب ويرى بنفسه ماذا يُخَبِّئَانِ؟، وإذا كان في الأمر إهانةٌ فسيخلع حزامَه ويوسعهما ضربًا، أما إذا كانت حيلةٌ من حيلهم الساذجة فسوف يكشفها بمنتهى السهولة، فهما أقل منه ذكاءً بكثير, اصطحباه إلى منطقة عشوائية، شوارعُها رَثّةٌ تتكدّس بها أكوامُ القمامة، وضيقةٌ بحيث يشعر المارُّ فيها بالاختناق، ومن فَرْطِ ضيقها

حتى تكاد منازلُها أن تتلامس عند قمتها، يخشى المرءُ المرورَ فيها نهارًا حيث يرتع فيها المجرمون وأربابُ السوابق, وتَنْشَطُ فيها بيوتُ الهوى ليلًا .

انعطفَ جمال يمينًا وماجد وحسام يتبعانِه, صَعَدَ الثلاثةُ درجاتِ سُلّمٍ متهالِكٍ لبيتٍ أكثرَ تهالُكًا، قرع جمال الباب ثلاثَ طرقاتٍ مُنَغّمَةً، جاءه صوتُ امرأةٍ من الداخل يسأل:

مَن؟

فأجاب جمال بهمسٍ:

- زبون قديم.

على الفور فتحت البابَ امرأةٌ بيضاءُ ترتدي فستانًا أحمرَ عاري الذراعين تدعوهم للدخول وهي تضحك في مُيوعةٍ:

- ما تقول إنك جمال.. يا مرحبًا يا مرحبًا. تفضّل المعلمة في انتظاركم.

دلفوا جميعًا إلى داخل الشقة، صدرت عن حسام هنةُ سخريةٍ بعد أن اكتشفَ ماهيةَ الشقةِ، اصطحبتهم تلك المرأةُ إلى امرأةٍ أخرى، عظيمةِ الطلعة، سمراءَ بدينةٍ تضع على وجهها مقدارًا كبيرًا من المساحيق، فاقترب منها جمال وقَبّل يديها.

- كيف حالك يا ست الكل؟

ضربته على صدره برفقٍ:

خيبك الله، أين كنت طوال هذة الفترة، وتأتي ويدك فارغة.

لا يمكن آتِي ويدي فارغة، معي زبون جديد.

opeikanor.com

نظرتِ المعلمةُ إلي حسام، وجدته شابًّا يافعًا وسيمًا طويلَ القامة قمحيَ البشرة، صدر عنها صوتٌ كمُواءِ القطةِ ثم أردفت:

- يا أختي صغير.

اطمأنَ جمال، لأنها دائمًا تقول هذه العبارة فقط للشباب الصغار الذين يحوزون على إعجابها، فَعَقّبَ يقول:

- ولا يزال عذراء، ولم يطأ امرأةً بعد.

- يا سلام، إذن سأمنحك مَن هي عذراء مثلك، فتاةٌ جديدة جميلةٌ لا زالت عذراءَ لم

يمسها أحدٌ قبلَك، احجبها عن الأنظارِ لمن يعرف قيمتَها.

انتاب ماجدًا شعورٌ بالغيرة؛ فكيف تَهَبُهُ مثلَ هذه الهبةِ العظيمةِ وتَضِنُّ بها عليه، ولسانُ حالِهِ يقول: أنا اللي جبتُه لنفسي. وفي محاولةٍ للالتفافِ واقتناصِ الفتاةِ لنفسِهِ قال للمعلمة:

لا يصحُّ هذا، فهذة الفتاةُ تحتاج لزبونٍ خبرة مثلي،أما حسام فهو بحاجةٍ لامرأةٍ

متمرسةٍ لتساعدهُ، فأولُ مرةٍ كم هي صعبة - اسأليني أنا -

فنظرت إلية المعلمة شَذَرًا، وقالت بسخريةٍ:

- والنبي تتوكس وأنت مفضوح في وسط كل البنات.

وبصوتٍ عالٍ مثلِ الجرس لا يخلو من المياعة نادتْ:

يا بنت يا شريفة، خذي الأستاذ لغرفة نوال.

جاءت شريفةُ تَتَلَوّى وَتَتَقَصّعُ مثلَ الخيزران وقفتْ أمام حسام، نصفُها الأعلي يخاصم نصفَها الأسفل وهي تَتَشَدّقُ باللبان:

- مين.. هذا .. تفضّل.

رَمَقَها حسام من الأسفل إلى الأعلى بنظرةٍ فاحصةٍ، ثم قَهْقَهَ كمَن رأى أرجوزًا، أو سَمِعَ نكتةً جاذبًا إليه انتباهَ الجميع مُوجِّهًا سؤالًا استفهاميًّا.

- إسمك شريفة؟

فأومأتْ برأسها إيجابًا، فغلب حسامًا الضحكُ ثانيةً، فهو من النوع الذي لا يُفَوِّتُ فرصةً للمزاح والسخرية.

- من مواليد برج العذراء؟

فأدركتْ أنه يسخر منها، فَمَطّتْ شفتَها العليا إلي الأعلى.

- لا... الدلو يا ظريف.

فقال ضاحكًا:

- لو قلتِ العذراء، لاتهمتُك بالتزوير.

فَضَحِكَ الجميعُ على وقعِ خُطُواتِهِ وهو يَتَّجِهُ إلى الغرفة التي أشارت لها المعلمة، فتحت شريفةُ البابَ، وقالت وهي تربت على ظهره:

- ادخل أحسن واحدة عندنا، على الله يطمر فيك.

تفقّد حسام الغرفة فَوَجَدَها مُقْفِرَةً لا حياةَ فيها، تبثُّ في النفس الانقباضَ، طلاؤها متساقطٌ، جدرانُها تنشع فيها الرطوبة، أثاثُها فقيرٌ جدًّا لا يحتوي إلّا على تسريحةٍ عليها مرآةٍ باهتةٍ لا يكاد مَن ينظر فيها أن يرى وجهَهُ، وسريرٌ

opeikandl.com

مُتَّسِخُ الفراشِ تتكوّرُ عليه فتاةٌ قمحاويةٌ نحيفةٌ حديثةُ السنِّ، لم تبلغ من العمر الثامنةَ عشرَ بعد إلّا أنّ جاذبيتَها لا ينكرها أحدٌ رآها ولو لمرةٍ واحدةٍ.

جلس حسام بجوارها على السرير في رقةٍ:

- ما اسمك؟

فأجابت في استكانةٍ تامةٍ:

نوال.

صَمَتَ قليلًا كمن يبحثُ عن كلماتٍ تساعده على الاقتراب منها أكثر.

- اسم جميل.. هل هذه حقًّا أول مرة لك؟

أجابته وهي تبحث عن مكانٍ تختبئُ فيه من نظراته التي تلاحقها:

- نعم.

اقتربَ منها أكثر ومدَّ أطرافَ أصابِعِهِ كي تلامسَ يدها، ارتعشتْ وسحبتْ يدَها ودَسّتْها بين ساقيها المنتصبين بحذاءِ كتفيها، ثم دَسّتْ رأسَها بين ساقيها.

أربكته هذه الحركةُ وأشعرته بالحرج، وحاوَلَ أن يُهَدِّئَ من روعها:

لا عليكِ، إن لم يكن لك رغبةٌ فلا بأس، أنا أيضًا لا أودُّ أنْ أفعلَ هذا الآن، لَاحَظَ على وجهها ارتياحًا لهذا الكلام فَهَدَأَ واطمأنَّ؛ لأنه لم يزعجها.

خَطَرَ في بالِهِ أنه لو تركها وذهب فسوف تسعد بذلك فوقف وفي نيته أن يستأذنها في الانصراف. تذكرتْ قولَ المعلمةِ لها بأن تطاوع الزبون في كلِّ رغباته مهما كانت غريبةً وشاذةً، فمهمتُها الأولى هي إمتاعُه وإيصالُه إلي أقصى لحظات النشوة، وكلّما شَعَرَ الزبونُ أنّ لها رغبةً قويةً في ممارسة الجنس

تزداد سعادتُه وشعورُه بالنشوة فيجزل لها العطاء.

فوجئ حسام بها تقف أمامه وتقترب منه وتمسك بيده وتضعها حول خصرِها وتقول:

- آسفة فلست معتادة على مثل هذا الأمر.

أحسّ حسام برعشةٍ تدبُّ في جسده فَسَحَبَ يدَه من حول خصرها، وقال وهو يزدرد ريقَه:

لا عليكِ، لستِ مرغمةً على فعل هذا الشيء، سوف أخرج في الحال.

وهَمّ بالخروج، وفي لحظةٍ قفزت ووَقَفَتْ حَائِلًا بينه وبين الباب.

انتظرْ... لو خرجتَ الآن فسوف يظنون أنّ أحدَنا فَشِلَ، ولو خَطَرَ ببالهم أنه أنت فسوف تكون هدفًا سهلًا لسخريتهم الجارحة وألفاظِهم البذيئة، أما لو ظننتِ المعلمة أنني أنا الفاشلة فسألقى ما لا أحب.

تفهّم حسام ما ترمي إليه:

- إذًا ماذا تريدين أن أفعل؟

- اُمْكُثْ قليلًا ثم اخرج إليهم مبتسمًا، وقُلْ لهم: كل شيء تمام.

ابتسمَ حسام وأبدى سعادتَه بهذا الاقتراح المعقول، هذا الارتياح لأنه إلى اللحظة التي دَخَلَ فيها غرفةَ نوالٍ لم يكن يعلم ماذا عليه أن يفعل وكيف يتصرف إزاءَ هذا الموقف الجديد علية تمامًا. فمن اللحظة التي دخل فيها هذه الشقة وتساوره مشاعرُ غريبةٌ ومتضاربةٌ وتداهمه أفكارٌ وخيالاتٌ سريعةٌ ومتلاحقةٌ كوميضِ آلةِ التصوير، فرغم أنه ليس متدينًا تديُّنًا متماسكًا،

فهو كما يقال عنه متدين على سطر ويسيب سطر، لكنّ شعورًا ما بالذنب ظلّ يلاحقه منذ أن وَطِئَتْ قدمُه هذا المكان, وبدأ شعورانِ يتصارعانِ بداخله أحدُهما يقول له, هذا الذي أنت مقدِمٌ عليه خطأٌ جسيمٌ له عواقبُ وخيمةٌ في الدنيا والآخرة، ولكنّ شعورًا آخر ورغبةً في رحمة الله والطمعَ في عفوِهِ يقول له, لا بأسَ من مرةٍ واحدةٍ يذوقُ فيها حلاوةَ جسدِ امرأةٍ، خاصةً أنه لم يسعَ إلى ذلك، بل وَجَدَ نفسَه رغمًا عنه في خِضَمِ هذة التجربة. ويتوبُ بعدها ويصبح من الصالحين، ولكنّ شيئًا آخرَ غيرَ الوازعِ الديني يمنعه عن ممارسةِ ما هو مقدِمٌ عليه.

فهو لا يتصوّر أنّ أولَ مرةٍ له يمارس فيها العلاقةَ الحميمة مع امرأةٍ تكون مدفوعةَ الأجر، ومن المفترض أنّ هذا الفعل يحدث ما بين شخصين مُتَحَابّيْنِ، كيف سيشعر بدفءِ مشاعرها ويمنحها الشعور بالسعادة؟! فهو لا يتصوّرُ أنّ امرأةً مدفوعةَ الأجرِ تقوم بهذا العمل بشكلٍ آليٍ تستطيع أن تمنحه دفءَ المشاعر التي تمتلكها امرأةٌ محبةٌ لها رغبةٌ حقيقية في ممارسة الحبِّ، ليس فقط من أجل المال، بل من أجل المتعة الحسية لكليهما معًا. فلا بد أن يكون بين الشريكين شيءٌ مشتركٌ يمتلكانِه ويمنحانِه لبعضهما سعيًا للحصول على النشوة والسعادة الغامرة التي يشعرانِ بها عند ممارسة الحب. لذا جاء اقتراحُ نوال بردًا وسلامًا عليه وخَلّصَهُ من مشكلةٍ استغرق التفكيرُ فيها الكثير من الوقت ولم يجد لها حلًّا ولم يستطع أن يتخذَ فيها قرارًا.

أمّا نوال فإنّ حالة التوتر والقلق من المجهول الذي ينتظرها وَلّدَا لديها إحساسًا بالخوف الشديد والاضطراب؛ فقبل دخول حسام عليها كانت تشعر ببردٍ شديدٍ ودقاتِ قلبها تتسارع يكاد يسمعها من يقف بجانبها, فأخذت تذكّر نفسَها بكل ما علّمتَها إياه المعلمة عن طُرقِ إسعاد الرجال وعن خصالهم، وكيف تمتلك الرجل الذي معها فيصبح طوع بنانها، وتستطيع أن تأخذ منه ما شاءت برضاه وتمنحه هي ما تود أن تمنحه دون أن يفرض سيطرته عليها، فالمرأةُ حين تمتلك قلبَ الرجل تتملك كلّه فلا يستطيع إيذاءها ويفعل كلّ ما يستطيع لإرضاءها بأيّ شكلٍ فلا يأخذ منها إلّا ما تعطيه إياه.

وكما قيل لها إنّ أولَ مرة هي الأصعب وبعد ذلك يصبح الأمر عاديًّا وسهلًا ولن تشعر بأيّ اضطرابٍ أو خوفٍ أو خجلٍ بعد ذلك، إلّا أن شعورًا داخليًّا لديها كان يتمنى أن يفسد الأمر كله ويرفضها الزبون، وقد يبلغ المعلمة أنها لا تصلح لمثل هذا العمل, فهي في قرارةِ نفسها كانت تعتقد أنها مُجْبَرَةٌ على هذا العمل، فزيزي التي أغرقتها في الديون هي التي اصطحبتها لهذا المكان وأقنعتها أنّ ليلةً واحدةً كافيةً أن تسددَ كلّ ديونها، وعدةَ ليالٍ كفيلةٌ أن تجعلها من الأغنياء، وترحمَها من العمل في بيوت الناس. وفي الوقت الذي تريد فيه أن تترك هذا العمل تتركه وبقليلٍ من المال الذي تملكه تُجري عمليةً جراحيةً بسيطةً تعود بعدها عذراء، كذلك بإمكانها أن تنفق على والديها اللذَيْنِ لا يفعلانِ شيئًا غير الاغترافِ من مالها فلا تحصل من

هذا المال إلّا على النزرِ اليسيرِ الذي يسد رمقَها، ويكسو لحمَها في الوقت الذي ينفق فيها والدها كلَّ ما تتحصل عليه على تعاطي الحشيش، وأمها التي لا هَمَّ لها إلا تلبية رغبات والدها، التي لم تنقطع يومًا، منذ أن جاءت إلى هذه الدنيا لذلك كانت على استعداد أن تفعل أيَّ شيءٍ من أجل تأمينِ مستقبلها رغم أنها تعلم أنّ هذا الطريق الذي اختارته قد يكون بلا عودةٍ وقد يودي بها إلي التهلكة كما حدث لأخريات غيرها؛ لذلك كانت تتمنى في قرارة نفسها أن تخرج من هذا المكان كما دخلته بغير سوءٍ.

لهذا فقد ارتاحت كثيرًا؛ لأن أولَ زبون كان حليمًا ولم تكن لدية رغبةٌ حقيقيةٌ في ممارسةِ الجنس، ولم تكن في حاجة إلي استخدام الحُجَجِ التي أعدّتها كإجراءٍ احتياطيٍ، لو قرّرت أن تتراجعَ في اللحظة الأخيرة.

مضت لحظاتٌ وهما صامتانِ ينظرانِ لبعضهما البعض، وكان لا بد من ملءِ الوقت ببعضِ الثرثرة حتي لا يشعرانِ بالملل.

بحث حسام عن أيِّ شيءٍ يقوله، فلم يجد شيئًا جديدًا غيرَ أن يكرر عليها نفسَ السؤال السابق:

- هل هذه هي أول مرة لك هنا؟

فنظرتْ إليه باستنكارٍ:

- نعم هي المرة الأولي، هل تشكُّ في هذا؟

لا.. ولكن ما الذي دفعك لكي تسلكي مثل هذا الطريق؟ إن هيئتَك تدلُّ

على أنك بنت ناس، ولستِ من المستهترات العابثات.

انتابها شعورٌ بالسعادة بأن شخصًا ما رأى فيها شيئًا مختلفًا غير أنها فتاة سهلة المنال، والغريب في الأمر أنّ هذا الشخص يصادفها في بيتٍ من بيوت المتعة، فقالت:

- الحاجة.

- وهل كلُّ امرأةٍ محتاجة تسلك هذا الطريق؟!

أجابته في غضبٍ:

- أعلم أنّ هذا الطريق طريقٌ خاطئ، ولكن ماذا تعرف أنت عن ذلِّ ومهانةِ الاحتياج، والديون التي تنغصُ عليك حياتك، هل تعلم أنني جئتُ إلى هنا بسبب 200 جنيه دينًا؟! لن أستطيع أن أَسُدَّها وأنَّ هذه الليلة التي يفترض أن أقضيها معك سوف تسدد هذا الدين.

- وهل 200 جنية مبلغ كافٍ لكي يبيع المرءُ نفسه، مهما كانت الأسباب أو الضغوط؟!

- 200جنيه بالنسبة لك مبلغ تافه، أما بالنسبة لأمثالي ثروة ضخمة.

حتي لو كان هذا صحيحًا، ما كان يجب أن تنزلقي لمثل هذه الطريق.

هذه الطريق وماذا تعرف أنت عن الطرق التي سلكتها، يا أستاذ أنا أعمل خادمة في البيوت، ومنتهكة من كل الرجال الذين عملت عندهم، وبالمجان، صحيح أنني ما زلت عذراء، ولكن مَن يعلم إلى متى سأظل عذراء، على الأقل أصبح لي سعرٌ الآن.

- لا تحاولي تبريرَ الخطأ لنفسك، فأنت تدركينِ في قرارةِ نفسك أنك ترتكبينَ خطأً عظيمًا في حقِّ نفسِك أولًا.

- وهل أنا أملك نفسي حتى تكون لي حقوقٌ أحافظ عليها، فأبي وأمي لا يُمانِعَانِ أنْ أفعلَ أيَّ شيءٍ لأجلبَ لهما المال. إنّ كلَّ مَن تعاملتُ معهم يستغلونني بكلِّ الأشكال، ويعاملونني أسوأَ معاملةٍ.

- أنتِ فعلتِ هذا بنفسك، لو أنكِ قاومت منذ البداية استغلال أبويك لتبدل حالُك.

- هذا ما جرى ولم يكن في مقدوري أنْ أغيرَه، أنا في هذه اللحظة كيف أقاوم؟!

- افعلي أيَّ شيءٍ، اهربي من أولئك الذين يستغلونك.

- أهرب! وكيف أهرب؟ لو كنتُ أستطيع الهرب كنت هربت من زمان، حاولْ أن تخرجني أنت مِن هذا المكان، وانظر ماذا يفعلون بنا.

شعر حسام بالتحدي في كلماتها وقَبِلَ التحدي.

- إذا كنتِ حقًّا تودِّينَ الهربَ، فهيّا سوف أهربك.

أخذ ينظر يمينًا ويسارًا حتى لَاحَظَ نافذةً لم يلحظها منذ البداية يعلوها الغبارُ دليلًا على أنها لم تفتح منذ أمدٍ بعيد، تقدّم نحوَها وفتحها بصعوبةٍ ونَظَرَعبرها إلى الشارع ووجد أنه في الدور الثالث. تحت هذه النافذة مباشرةً سطحُ منزلٍ من دورين يمكن أن يهبط عليه عبر الكمرةِ الناتئةِ في البيت الذي يتواجدون فيه، وبإمكانه أن يقفز المسافة الباقية من الكمرة لسطح

المنزل المجاور، ومن سُلّمِ هذا المنزل يخرج إلى الشارع، أشار إليها بأصبعه:

- هيّا.

بدت عليها الدهشةُ والحيرة:

- إلي أين؟

سوف أخرجُكِ من هذا المكان القذر.

بدت عليها السعادةُ الغامرة، فهذه أول مرة تصادف إنسانًا يُضَحّي بحياته من أجلها دونَ مقابل، هبط أولًا ثم ساعدها على أن تهبط على سطح المنزل المجاور، ثم خَرَجَا منه إلى الشارع، وعند أول تليفون أَبْلَغَ الشرطة.

ثم وقف ينظرانِ ماذا سوف يحدث بعد دقائق، أتت الشرطة وألقت القبضَ على كلِّ الموجودين في الشقة. ووقف ينظرانِ والشرطة تقتاد المعلمة وصديقيْهِ وكلَّ الرجال والنساء الذين تصادف وجودُهم في الشقة، يخرجون جميعًا شبهَ عُراةٍ يلتحفون بملاءات تستر عوراتهم.

قالت نوال:

- الآن ماذا نفعل؟

- نُوكِّلُ لهم محاميًا.

ابتسمت نوال وعرفت أن هذا إجراءً وقائيًّا حتى لا يشكون فيهما ويحاولون الانتقام منهم فيما بعد، ثم نظر إليها حسام وابتسم وقال لها:

- يجب أن نبحثَ لكِ عن مكانٍ آخرَ أكثرَ نظافةٍ تبدأينَ فيه من جديدٍ.

obeikandl.com

قمر تموز

obeikandl.com

obeikandl.com

الهزيع الأخير من الليل، من يوم حار من ليالي شهر يوليو, وفي منتصف الشهر العربي والقمر بدر في السماء، نوره الفضي يضيء المزارع ليلًا فتبدو متألقةً في عتمة الليل, نسمات هواء بارد تمنح الساهرين على أعتاب دورهم شعورًا ما بالنشوة والسعادة, خاصةً بعدما احترقت وجوهُهم من حرارة الشمس وهم يعملون في الحقول نهارًا.

للتوِّ ترك حسن أصدقاءَه, هو يهوى النظر إلى القمر خاصةً وهو بدرٌ وفى عزِّ الصيف حيث لا غيوم تحجبه، ويبدو متألِّقًا مهيمنًا على السماء؛ إذ تخشاه النجوم وتهرب وتتركه وحيدًا في السماء يناجي من يناجيه ويبوح له بسرِّ حبِّه الدفين الذي يحجبه حتى عن أقرب الناس إليه.

احتالوا، وناورا، ولفوا، وداروا حول حسن كي يعرفوا من هي محبوبته, لكنه لم يبح بحبها ولم يصرح باسمها إلا للقمر, فالقمر كَتُومٌ لا يُذيع سرًا ائتمنه إياه. وجهُ القمر المستدير يذكِّره بوجه محبوبته، ونورُه الفضيُّ الصافي يذكره ببشرتها الصافية البيضاء كالعاج, والليلُ الساحر الذي يحيط بالقمر كالبحر يذكره بشعرها الأسود الناعم يُتَوِّجُ وجهَها الطفولي البسام. يحب أن يسير وحيدًا في الليل تحت ضوء القمر ينظر إلى وجه القمر ويرى وجهَ محبوبته متجسدًا فيه ليمنح وجهَ القمر جمالًا لا يراه إلا من رأى وجهها يومًا! يتمنى لو يراها الآن في هذا الجو الحالم فتكتمل سعادته بنزول القمر من عليائه ليتجسد بين يديه, هَلّا سَاقَها ضوءُ القمر كي يرتوي بنورها كما ارتوى من نور

القمر، إن بين المحبين طاقةً تجذبهم لبعضهم وتحقِّقُ أمانيهم في لقاء، تحقِّقُ الحلمَ عندما رأى هالةً من نورٍ تتقدَّمُ صوبَه، وخصلاتُ شعرها يداعبها نسيمُ الليل من تحت الإيشارب الورديّ الحريريّ الناعم ذي الورود الحمراء، عندها شَعَرَ بأنّ الدنيا كلَّها تتوجّه إليه فاتحةً ذراعيها له. تمنّى لو اقتربت أكثر ووقفت بجواره هكذا تكون أمنيته قد تحققت..

يا قمر هكذا ناداها:

- يا قمر إلى أين أنت ذاهبة؟

وبنظرات حالمةٍ من عينيها العسليتين اللتينِ طالما تمنّى أن يذوقَ منهما العسلُ الذي يقطر منهما أجابت: كنتُ في انتظارك.

- كنتُ أوصلُ ابنةَ خالتي، كانت ساهرةً عندنا وتأخّر الوقتُ عليها، وهي تخاف أن تعود وحدها في الظلام.

- وأنتِ ألا تخشينَ الظلام؟ قد يهاجمك ذئبٌ وربما سلعوة!

ضحكت:

- لا أشعر بالخوف والقمر يؤنسني.

- هل تحبينَ القمر؟

- نعم أحبُّه كثيرًا.

- أنا أيضًا أحبُّه؛ لأنه يذكرني بكِ.

- هل أنا جميلة مثل القمر؟

- أنت أجمل من قمر تموز.

- وما هو قمر تموز؟

- تموز هو شهر يوليو، عندما كنتُ في الأردن كانوا يسمون الشهور بأسمائها السريانية (تموز يوليو – أب أغسطس – أيلول سبتمبر) وهكذا.

- لماذا قمر تموز بذات؟

- لأنه يطلع والسماء صافية لا تحجبه غيومٌ.

فنظرتُ إلى السماء:

- عندك حق.. القمر كم هو بديعٌ وجميلٌ ومتألِّقٌ وسط السماء وحده، لا نجوم تزعجه وتقلق راحتَه, انظر كم هو كبيرٌ اليوم! لم أراه بهذا الحجم والجمال والبهاء من قبل.

- مثلك أنت في جمالك لم أشاهد من هي أجمل منك.

احمرّ وجهُها خجلًا وطأطأت رأسَها إلى الأسفل، فبادر يعتذر:

- أنا آسف لم أقصد مضايقتك.

- لا لم أتضايق، كلُّ ما في الأمر أنني لم أسمع مثل هذه الكلمات الرقيقة من قبل.

- العيب ليس عليك، بل فيمن رآك ولم يقر بجمالك.

- وهل أنا جميلة إلى هذا الحد؟ أنت سافرت لبلادٍ كثيرة داخل مصر وخارجها، ألم ترى مَن هي أجمل مني؟

- الجميلاتُ كثيراتٌ، ولكن ليس بينهنّ من هي في مثل بهائك وطيبة قلبك.

- أنت تبالغ.

- لا لم أوفيكِ حقك بعد.

- لا أظن أنّ كلَّ هذه الصفات وهذا الجمال الذي تصفه فيّ أنا.

- إذا كنتِ لا تصدقيني اسألي عيني أو خذيهما وانظري لنفسك في المرآة، سوف ترينّ أنّ ما قلتُه فيكِ لا يمثل نصفَ الحقيقة التي أراها.

وسط هذا الجوِّ الحالم إذ بصوتِ أمها يناديها:

- يا قمر ماذا تفعلينَ عندك؟ أبحث عنك منذ وقت طويل، عودي إلى البيت حالًا، حسابك معي فيما بعد.

مضت قمر مهرولةً إلى بيتها وهي تتوقّع حسابًا عسيرًا من أمها. انتظرت الأم قليلًا حتى تأكدت أنّ الدار قد احتوت قمرًا، وتوجهت إلى حسن، وقالت له معاتبةً:

- هل هذا يصح يا حسن، وهل لو كانت قمر أختك هل تقبل أن تقف تتسامر مع شاب غريب في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

- عذرًا يا أمَّ قمر أنت أسأتي الفهم، كلُّ ما في الأمر أني خفتُ عليها أن تعود لدارها وحدها فتتعرض لمكروه.

- أن تتعرضَ لمكروهٍ أفضلُ عندي من أن تتعرضَ لكلام الناس؛ فشرفُ ابنتي وسمعتها عندي أغلى من كنوز الدنيا، وفي سبيل المحافظة عليه أنا على استعداد أن أريق الدماء.

- أنا مثلك يا أمَّ قمر لا أطيق أن يقولَ عليها أحد شيئًا باطلًا.

- وماذا بعد؟

- ليهدنا الله إلى ما هو خير...

ثم انصرف.

دخلت قمر غرفتَها مسرعةً، لم تكد تسمع أو ترى أحدًا في طريقها, أغلقت بابَ غرفتها عليها وهي مرتبكةٌ محرجةٌ لا تعرف كيف تبرّرُ ما رأته أمُّها, حينما يأتي وقت الحساب وتسألها عن سبب وقوفها مع حسن في ظلمات الليل, ولكن رغم مشاعر الاضطرابات هذه إلّا أن شعورًا بالارتياح والسعادة الغامرة كان أقوى من شعورها بالخوف من أمها, وانتظار عقابها بعد أنّ عَبّرَ لها حسن عن إعجابه بها, وهو الذي لَفّ الكرة الأرضية يمينًا ويسارًا ورأى من الفتيات الكثير, فهو حُلمُ كلِّ فتيات القرية. إنه يحبها هي، وهي لا تكاد تصدق، فهو بالنسبة لكل الفتيات أكثر الفتيان وسامةً, وأرجحهم عقلًا, فهم يرونه أعجوبةً من أعاجيب الزمن, يعرف في كلِّ شيءٍ ويعمل في أيّ شيءٍ, رمزٌ للقوة والفتوةِ والذكاء لا يصعب عليه شيءٌ, بعد كلِّ هذه الخبرة التي اكتسبها من أسفارِه, حقًّا لو أنه يفكّر فى الزواج منها, كما تتمنّى تكون قد ارتبطت حقًّا بفتى أحلامها الخارق, كمثل أبطال أفلام السينما.

- ماذا بكِ يا أمَّ قمر؟

قالتها زوجةُ عمّ قمر عندما رأت علاماتِ الضيق على وجه أمّ قمر.

- قمر كبرت، وكلما كبرت ازداد خوفي عليها.

- لقد قلتُ لكِ ما يجب عمله وأنت لم تأخذي بكلامي.

- لكن قمر كبرت، وأخشى عليها من هذه التجربة.
- وهذا أدعى لأن تعجلي قبل أن تقع الفأس في الرأس.
- عندك حق غدًا سوف أستدعي أمَّ الخير.

جاءت أمُّ الخير في اليوم التالي بوجهِها الأسمر القبيح العابس، فلم تُرَ تضحك قط, بملابسها السوداء الكالحة السواد وهي تبدو على هذه الهيئة المخيفة مثل زبانية العذاب، ومن فَرْطِ هيئتها المخيفة, يخيفون بها الأطفال الصغار الذين يسمونها أمنا الغولة، هي تعرف مهمتها جيدًا دون أن تضيع وقت, طلبت منهنّ أن يحضرنَ لها الفتاة حالًا أو يأخذونها إليها، وعلى الفور اقتادوها إلى غرفه قمر, التي ما إن رأت أمَّها وزوجاتِ أعمامِها يصطحبون أمَّ الخير حتى عرفت ما ينوينَ فعلَه بها، فحاولت الهربَ لكنهنّ أحكمنَ الحصارَ حولها وتكاثروا عليها حتى شلوا حركتها، وأضجعوها على السرير وفتحوا رجليها, لكنها لم تستسلم وظلت تقاوم بكلِّ ما أوتيت من قوةٍ حتى أتعبتهنّ من كثرة الرّكلِ والرفص. فأشارت أمُّ الخير عليهنّ بأن يوثقوها في السرير النحاسي ذي القوائم حتى يحكمنَ السيطرة عليها, وبعد مقاومةٍ شديدةٍ من جانب قمر نجحنَ في شدِّ وثاقها في السرير جيدًا وكَمّمْنَ فمَها. كشفت زوجةُ عمِّها عن ساقيْها، عندئذٍ سالَ لُعابُ أمِّ الخير فورَ أن رأت فخذيها الأبيضين البَضّيْنِ.

كانت أمُّ الخير تعلم أن قمرًا جميلة لكنها لم تعلم أنها بهذا الجمال أبدًا، أثارَ جمالُ قمر الغريزةَ الشاذةَ بداخل أمِّ الخير التي لا يعرفها عنها إلا أقربُ

المقربين منها.

كان لابد من حيلةٍ للتخلص من كلّ النسوة اللاتي يملأنَ الغرفة, حتى تنفرد بالفتاة المسكينة التي لا حول لها ولا قوة بعد أن أوثقنَها في السرير، أخرجت المرأة أمُّ الخير شفرةَ حلاقةٍ ملفوفةً في ورقها من صدرها - وهي كلُّ معدات العمل- عندما شاهدت أمُّ قمر الشفرة في يد أمّ الخير, لم يطاوعها قلبُها أن تشاهد ابنتها والدم يسيل منها فخرجت من الغرفة في الحال. هَمّت أمُّ الخير بالقيام بعملها وقبل أن تباشر عملَها نظرت إلى النسوة الواقفات يرقبنَ ما يحدث.

- ما الأمر أيَتُها النسوة أنا لا أحبُّ أن أعملَ في هذا الزحام وكل الأعين ترصدني هيّا اخرجنَ جميعًا.

ثم أرغمتهنَ بنظرتها النارية، التي يخشاها الجميع على الخروج دون كلمة واحدة كالمنومات مغناطيسيًّا، إلا كبرى زوجات أعمامها ظلّت واقفةً في مكانها, فنظرت إليها أمُّ الخير وهي تبحث لها عن حجةٍ تخرجها من الغرفة، ولا تعود لها إلا بعد وقت طويلٍ، فقالت لها بلهجةٍ آمِرةٍ:

- وأنت اذهبي وأحضري بعضَ القطن الطبي ولا تعودي قبل أن تأتي به.

خرجت زوجةُ عمّ قمر مُنْصَاعَةً لأوامرِ أمّ الخير، وما إن أغلقت البابَ خلفها وشعرت المرأة أمُّ الخير, أنها انفردت بالفتاة التي لم ترَ مثلَ جمالِها من قبل، حتى بدأت تنظر بِتَمَعُّنٍ ونَهَمٍ فى سيقانِها البَضّةِ، وأخذت تتحسّسُها بأطرافِ أصابعها برفقٍ ثم أمدتها إلى الداخل ما بين فخذيها، ظنت قمر أنّ

عمليةَ القطع قد بدأت فأخذت تنتفض وهى موثوقة مثل المذبوحة, ولكنّ أصابعَ أمّ الخير لم تبدأ في عملية القطع بل كانت تبتغي شيئًا آخر.

كانت تدخل أصابعها في الموضع الذي أرادت أمّها أن تحفظه وتحميه, فكانت تدخل أصابعها وتخرجها وقمر تنتفض وهي لا حول لها ولا قوة, ولا تستطيع أن تقاوم وتدافع عن نفسها، حتى دبّت رعشةٌ قويةٌ في جسدِ أمّ الخير ولم تعد قادرةً على التماسك أمامَ جمال قمر الذي لا يقاوم وبعد أن كانت تداعبها من الخارج أصبحت تدبُ أصَابِعَها بداخلِ جسدها أكثرَ فأكثر بسرعة, وقمر تحاول أن تصرخ، ولكن الكمامة التي على فمها تكتم صوتها, وهي تشعر بأصابع المرأة أمّ الخير مثلَ خناجر تقطع لحمها. وفي لحظةٍ شعرت قمر بشيءٍ ما يتمزق بداخلها ودمٍ يسيل من موضعِ شرفها, عندئذٍ شهقت أمُّ الخير.

- يا خبر أسود، ماذا أفعل الآن؟

ثم أخذت الشفرة وقطعت قطعة اللحم من قمر بسرعة وهي تقول لها مهددةً:

- إياكِ أن تخبري أحدًا، لو أخبرتِ أيَّ أحدٍ، سوف أقول لهم أنكِ أخطأتِ مع فلان وسوف يقتلونك في كلِّ حالٍ عندما يكتشفون أنكِ لم تعودي عذراء حتى لو صدقوا أنني من فضَّ بكارتك، ولا أظن أن أحدًا يصدق أنّ امرأة يمكن أن تفضَّ بكارةَ فتاةٍ؛ لذلك أحذرك أنت في كلِّ الحالات مقتولة.

دخلت زوجةُ عمّ قمر تحمل القطنَ، أخذته منها أمُّ الخير وهي مضطربة تتصبّبُ عرقًا ويدها ترتعش، وعندما سألتها زوجةُ عمّ قمر عن سبب الرعشة في يدها قالت لها:

- لا شيء، بنتكم أجهدتني قليلًا.

ثم مسحت عرقَها وقبضتِ الثمن وانصرفت وهي تمرقُ قمر بنظرةِ تحذيرٍ أنْ تتفوهَ بكلمة واحدة.

حلّت زوجةُ عمّ قمر وثاقَها وهي تقول لها عندما رأتها تبكي بكاءً شديدًا.

- لا عليك يا ابنتي قليل من الوجع سرعان ما يزول، كلنا مررنا بهذه التجربة مثلك.

بكت قمر بحرقةٍ على شرفها الذي سُلب من قِبَلِ امرأةٍ, وبحثت عن أيّ شيءٍ تنتحر به قبل أن تنكشف حقيقتها, إنها ستكتشف إن آجلًا أو عاجلًا ولابد أن أهلها سيقتلونها ولن يصدقوا أن أمَّ الخير هي التي قامت بهذا الفعل؛ لذا الانتحار هو السبيل الوحيد، فهي ميتةٌ من اللحظة التي ضاع فيها أغلى شيء تمتلكه, والذي طالما حذرتها أمُّها من ضياعه مهما كانت الظروف، ضاع منها ما كانت أمُّها تحاول الحفاظَ عليه بيدِ المرأة التي يظنون أنها هي التي تحافظ لهم على شرفهم، فهم يظنون أنّ الشرف موصول بهذه القطعة من اللحم, فهو عُرْضَةٌ للتفريط طالما هذه القطعة من اللحم موجودة، وبمجرد التخلص من هذه القطعة من اللحم تتخلص المرأة من كل مشاعر الشهوة والرغبة. فلتأتي أمُّها الآن لترى ماذا فعلت بها، وماذا

هي فاعلة لكي تعيدَ لها شرفَها المسلوبَ؛ لذا لن تنتظر حتى يقتلونها هم وهي الضحية وسوف تقتل هي نفسها، وتحرمهم مِن شهوةِ الانتقام لشرفهم الذي ضاع بغبائهم وعاداتهم البالية، وقبل أن تقتلَ نفسَها لا بدَ أن تنتقمَ لدمها المراق ممّن سَفَكَ دمَها.

وبمجرد أن تعافت ذهبت إلى أمِّ الخير وقَرَعَتِ الباب، فتحت لها أمُّ الخير, ولما رأتها تهلّلَ وجهُها فرحًا في ظنها أنها جاءت كي تكملَ ما لم تكمله في غرفتها، أخذتها أمُّ الخير في أحضانها وكلها رغبةٌ وشوقٌ أكثر من المرة السابقة.

- أهلًا يا حبيبتي، كنتُ أعرف أنك ستأتينَ؛ لذا كنتُ في انتظارك. أعرفُ أنكِ فتاةٌ عاقلةٌ ولن تبوحي بالسر لأحدٍ، ولكن لا تخافي، دعينا نعيش معًا لبعض الوقت كحبيبتينِ، وقبل زفافك لو جاءك عريسٌ سوف آخُذُكِ لطبيبٍ معرفةٍ يجري لك عمليةً جراحيةً سوف تعيدك كما كنتِ، هذه غلطتي وسوف أصلحها لك في الوقت المناسب. أسفة لم أستطع تمالك نفسي أمام جمالك؛ لذا حَدَثَ ما حَدَثَ، لا يهمك لكلِّ عقدةٍ حلٌّ، وحلُّها كما قلتُ لكِ.

كلُّ هذا وقمر صامتة تستمع وتجول بنظرها داخل الغرفة حتى وقعت عينها على بابور الجاز, وبمجرد أن انتهت أمُّ الخير من حديثها قالت قمر:

- أريد عمل شاي أين البابور؟

- يا حبيبتي غالي والطلب رخيص، استريحي وسوف أعده لك.

- لا تتعبي نفسك أنا أحب أن أصنعه بنفسي.

ذهبت قمر للبابور كي تشعله وأمُّ الخير مشغولةٌ بإعداد الفراش، أمسكت

قمر البابور وفَكّتْ مقبضَ تزويد البابور بالوقود، ثم قالت:

- إنه فارغ، أين الجاز حتى أملأه؟
- عندك تحت الرف.

ذهبت قمر وأحضرت الجاز, وأمسكت وعاءَ الجاز في يدها اليمنى وفي يدها اليسرى البابور، وأتت من خلف أمِّ الخير, تتسحب ودون أن تشعر, سكبت الجاز على رأس أمِّ الخير من الوعاء وعلى رأسها هي الأخرى من البابور في نفس الوقت, وعندما أدركت أمُّ الخير أنّ الذي سُكِبَ على رأسها جازٌ أدركت ما تنوي قمر فعلَه, وحاولت الهرب لكنّ قمرًا أمسكت بها وأشعلت فيها النار، ثم احتضنتها وهي مشتعلة وملابسها مبتلة بالجاز، فَشَبّتِ النار فيها أيضًا، وظلت متمسكة بها بمنتهى القوة وهما مشتعلتان حتى احترقتا تمامًا.

obeikandl.com

في عزّ البرد

obeikandl.com

الساعة الثامنة موعد النوبتجية الليلة. جاء عمُّ سعيد كبير العمال في موعده كما هي العادة منذ ثلاثين عامًا، لم يتأخر دقيقة واحدة، وقّع في دفتر الحضور، ثم أشار لزميله:

- يمكنك الانصراف.

فمضى وهو يفرك يديه وينفخ فيهما من شدة البرد، وقال:

- الحمد الله أنك أتيت في موعدك لقد كدت أتجمد من شدة البرد:

فهزّ عمُّ سعيدٍ رأسَه بإيجابٍ:

- نعم إن اليوم شديد البرودة، وربنا يستر.

جلس على المقعد الخشبي خلف المكتب الوحيد الموجود في مكتب تلّقي بلاغات أعطال هيئة مياه الشرب، أشعل سيجارةً، أَحْكَمَ أزرارَ معطفه ورفع لياقته إلى أذنيه، ثم لَفَّ تلفيحتَه بإحكامٍ حولَ رأسِه حتى لا يتسلسلَ البرد إلى جسده. دقَّ جرس التليفون نظر إليه وهو يشفق على نفسه ممّا قد يحمله إليه التليفون من أنباءٍ سيئةٍ كاد أن يترددَ في رفعِ السماعة، ولكنّ إحساسَه بالمسئولية كان أقوى من أن يفكر في إهمال التليفون، رفع السماعةَ إلى أذنه:

- ألو.

- نعم هنا مصلحة مياه الشرب.

- ماذا ماسورة مياه انفجرت.. أين؟

- في الشارع العمومي.

obeikandl.com

- كم سمكها؟

- 3 بوصة.

تنهّدَ ثم نَظَرَ إلى العمال الجالسين على الأرض بجواره وقال:

- يا الله ماسورة بهذا الحجم تنفجر في الشارع العمومي في مثل هذا اليوم البارد لا بد أن أحدكم نيتُه ليست صافية حتى يعاقبه الله بمثل هذا العمل الصعب في هذا البرد القارس، صَفّقَ إليهم بيده محاولًا تنشيطهم:

- هيّا إلى العمل، أفيقوا من غفوتكم أيها الكسالى.

أخذ فرقةً مكونةً من ثلاثةِ عُمالٍ وتَوَجَّهَ إلى موقع الماسورة. أَمَرَ أحدَهم أن يذهب إلى المحبس العمومي ويقفله، ذَهَبَ العامل ثم عاد.

- لم أجده ولا أعرف أين يوجد.

نَظَرَ إليه في تأفُّفٍ:

- لا فائدة منكم.. أكل ومرعي وقلة صنعة.. هاتِ المفتاح.

أخذ منه المفتاح بشيءٍ من عنفٍ ولينٍ معًا وذهب إلى المحبس وأقفله، عاد فوجد العمال يحفرون في المكان الخطأ، صاح فيهم.

- يا أيُّها الحمقى ماذا تفعلون؟! تريدون أن تزيدوا الأمر سوءًا، ليس هذا هو الموقع الصحيح. هاتِ هذا الكوريك.

خَلَعَ معطفَهُ وشَمّرَ عن ساقيه، نَزَلَ في بركة المياه وقام بالحفر ورغم توسلات العمال له أن يتوقف وسيكملون هم العمل إلا أنه رفض وأصرّ على الاستمرار، وقال لهم في سخريةٍ:

- أنتم جميعًا حمقى عديمو النفع، ليس فيكم من يفهم أو يستطيع تحمل المسئولية.

كان أكثرهم نشاطًا رغم فارق السن الكبير بينه وبينهم، ظلّ يعمل بيده في الماء البارد غير مكترثٍ ببرودةِ الجوِ ولا بأطرافه التي تجمّدت من شدةِ البرد، فلم يعد يشعر بهم ودون مقدماتٍ، شَعَرَ بألمٍ فظيعٍ في كعبه وكأنّ كلبًا قَضَمَهُ، صَرَخَ صرخةً مدويةً أفزعت العمالَ، خشوا أن يكون قد أصابه مكروهٌ أو لَدَغَتْهُ حيةٌ، فهم يحبونه رغم أنه دائم التعنيف لهم على تقصيرهم في العمل إلا أنهم جميعًا يحبونه؛ لأنه طيبُ القلب لا يؤذي أحدًا، وعلاوة على ذلك فهو متفانٍ في عمله.

حملوه وطاروا به إلى أقرب مستشفي، دلفوا جميعًا يحملونه إلى غرفة الاستقبال بأقدامهم الحافية المتسخة بالطين، فزع الطبيب لهذا المشهد الغريب:

- ما الذي أصاب هذا الرجل؟

فأجابَ أحدُهم وهو يلتقط أنفاسَه:

- عم سعيد يا دكتور صرخ من الأعماق.

فهدأتْ نفسُ الطبيب ونَظَرَ إلي عمّ سعيد في حنوٍ وسأله:

- بماذا تشعر؟

- أشعر بأنّ كلبًا عضّني من كعب قدمي.

رأى الطبيبُ أقدامَ العمال المتسخة بطينٍ:

- هل كنتَ واقفًا في الماء؟
- نعم كنا نصلح ماسورة المياه العمومية.
- لا عليك إنه أمر بسيط هذا ما يسمي عضه البرد، بعض المسكنات وسوف تصبح بخير.

أعطاه الطبيب حقنةً مسكنةً للآلام، ثم كتب له بعض الأدوية في الروشتة، ونصحه براحةٍ، ثم نظر إلى العمال وقال لهم:

- تلزم الراحة.. أرجو أن يوصله أحدكم إلى منزله، ثم أرجوكم أن تكملوا إصلاحَ الماسورة؛ لأن المياه منقطعةٌ عندنا منذ ساعتين.

obeikandl.com

obeikandl.com

القاتل

obeikandl.com

obeikandl.com

يتقدّم بخطواتٍ حثيثةٍ، ينزع قدماه من الأرض انتزاعًا وكأنه ينتزعها من الأوحال واضعًا يده اليمنى في جيبه وكأنه يُخفِي شيئًا ما. تراوده أحلامٌ عنها، يذكر لهفتَها عليه حين تلقاه وشوقَها الذي يفيضُ من جسدها حين تَضّمّهُ إلى صدرها، وابتسامتَها العذبةَ التي لا تفارق شفتيها مهما طال بهما اللقاء. تشتعل النار في جنبيه حينما يتذكر أنّ كلَّ هذا كان خداعًا، يزداد إصرارًا على الانتقام، يداهمه شبحُها وهي في أحضانه حين رآها صاعدةً إلي سطح منزلها في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل، فتسلّلَ إلى الشارع المظلم خلف منزلها وتسلّق السور وصعد إلي السطح، كان مشتاقًا إليها وظنَ أنّ لديها نفسَ الشوق، لكنه وجدها في أحضانِ رجلٍ آخر!

ولم يراه جيدًا ولم يستطع معرفة من هو، وقد هرب بمجرد أن شعر بصعودِ شخصٍ إلى السطح. فكّر في أن يضربها، لكنه إن ضربها سوف تصرخ ويخرج كلُّ أهل القرية على صراخها، ويسألون ما الذي أتى بهِ إلى سطح دارها في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل، ساعتها ستقول أنه جاء للاعتداء عليها وسوف يصدقها الجميع، ولن يصدقه أحدٌ مهما أقسم لهم، وسيصبح هو المجرم الآثم وهي الضحية البريئة.

ابتلَعَ نارَه في داخله وهبط من على منزلها ونارُ الغيظ والحنقُ تولّدُ أفكارًا تأكل دماغَه:

- كيف لم أفتك بها؟ لماذا تركتها؟ كان لابد أن أقتلَها وأشفي غليلي،

ولتشتعل الدنيا بعد ذلك، لقد كنتُ أريد الزواجَ منها، كيف كنتُ سأئتمنُها على شرفي.. تلك الفاجرة. ..

فكّر في العودة إلى منزلها وقتلِها في فراشها، ولكن كيف؟ لن يستطيع دخول الدار وكل الأبواب المؤدية داخل الدار محكمةُ الإغلاقِ حتى باب السطح لابد أنها أغلقته جيدًا بعد أن رأته قد استطاع تَسَلُّقَ السور الخلفي والصعود إلى سطح الدار.

كرامته المهانة تصفعه ألفَ صفعةٍ على وجهه، كلُّ هذا الوقت يحبها وهي تخدعه، كيف لم يشعر بخداعها؟ وأخيرًا يراها في أحضانِ رجلٍ غيره. وبالتأكيد ليس هذا هو الرجل الوحيد، لا بد أنّ هناك آخرين أخذتهم على ناديها وغرقوا في أحضانها.. الساقطة.. لابد من عقابها أشد عقاب.

توقف أمام المستوصف الذي تعمل به ممرضةً، أَخَذَ يحوم حوله لعله يراها، وإن لم تظهر فسوف ينتظر حتى ميعاد انصراف الموظفين.

توجّه إلى البقال المواجه للمستوصف، طلب زجاجةَ مياه غازيةٍ مثلجةً لعلها تطفئ النار بداخله، أخذ يقذفها في جوفه، ورغم أنها كانت شديدةَ البرودةِ إلا أنه كان يشعر بها مثل ماء النار الذي يشوهه من الداخل. رَمَقَهُ البقال بنظرةٍ تملؤها الرِّيبة، فعصبيته وهو يشرب، وهيأته الرثة، وجسدُه البدين، ولحيته الطويلة، وشعره المبعثر، ويده المدسوسة في جيبه كأنه يُخفي

شيئًا ما يخشى أن يفلتَ منه تُثيرُ الارتيابَ. دفع الحساب بيدٍ مرتعشةٍ.

أتت من داخل المستوصف امرأةٌ عجوز كانت ترتدي ملابسَ العمال، مَالَ عليها وسألها بصوتٍ منخفضٍ:

- هل تعمل عندكم ممرضة اسمها أماني؟

- نعم إنها في القسم الآخر.

وأشارت بيدها إلى المبنى الأيسر، ولّى وجههُ عنها وانصرفَ من محل البقالة، ولكنه ظلّ واقفًا قريبًا منه، إنه يعلم الآن أين تعمل بالتحديد، وما عليه سوى الانتظار حتى انتهاء مواعيد العمل الرسمية، ثم يقضي على حياتها الآثمة.

بدأ الموظفون في الانصراف الواحد تِلْوَ الآخر، أما هي فلم تظهر بعد.. مرّت أكثر من نصف ساعة ولم يظهر لها أثرٌ وبعد لحظة خرجت مجموعةٌ من الفتيات كانت هي وسطهن، رأته هالتها الصدمةُ لم تستطع أن تتحرك من مكانها، وتوجّه إليها وهي تنظر إليه مشدوهةً، أخرج سكينًا من جيبه، وطعنها في صدرها ثم طعنها أخرى، هَوَتْ على الأرض، لكنه لم يلحظها وهي تهوي وظلّ يطعن ويطعن الفراغ الذي كانت تشغله. وساد الشارعَ الفزعُ وسط صراخِ الفتيات، وهو ما زال يوجّهُ لطيفها الطعناتِ.

obeikandl.com

الخفير

obeikandl.com

obeikandl.com

انتهت السهرة بعد منتصف الليل كنت أحضر حفلَ عقد قران أحد الأصدقاء في قرية بسنتواى البعيدة عن المدينة التي أقطن بها حوالي 20 كيلو مترًا. ألحّ أهلُ صديقي هذا عليّ كثيرًا كي أَبِيْتَ ليلتي هذه عندهم، لكنني تعلّلتُ بأنّ لديّ موعدًا مهمًّا في الصباح ولا بد من العودة، فأخبرني والدُ صديقي:

- أن طرقنا موحشةٌ ليلًا، ولن تجد سيارة توصلك إلى المركز.

- إن شاء الله سوف أجد ما يوصلني إلى المركز أو حتى قريبًا منه حينئذ يكون الأمر سهلًا.

وحقيقة لا يوجد ميعاد أو أيّ شيءٍ من هذا, كل ما في الأمر أنني لا أحب أن أكون ثقيلًا على أحد.

رافقني نفرٌ من أهل صديقي إلى الطريق الرئيسي الذي يوصل بين القرية والمركز، سألني هل أود أن يبقى بصحبتي حتى تأتي سيارة؟

- لا داعي..انصرفْ ولا تعطِّلْ نفسَك معي فلا بد أنك متعبٌ من الوقوف في الفرح منذ الصباح. وقفت قليلًا أنتظر أن تأتي سيارة, لكن الانتظار طال وسرتُ على قدمي قرابة 300 مترًا حتى رأيتُ نورَ سيارةِ نقلٍ قادمة من بعيد، وبعد إشارة من يدي معناها أن يتوقف وأن ينقلني معه توقفت السيارة، وإذ بشابٍ في مقتبل العمر يطل برأسه من نافذة السيارة، ينظر إليّ من أعلى إلى أسفل مندهشًا، وكأنه يتحقّق من كوني بشرًا ولستُ عفريتًا متنكرًا في هيئة بشرًا، إذ لا يعقل أن يوجد إنسان في هذا المكان هذا

الوقت المتأخر من الليل، وبعد أن تأكّد تمامًا من كوني بشرًا سألني:

- إلى أين؟

- إلى المركز إذا كنتُ ذاهبًا إلى هناك.

- لا والله.. أنا ذاهب الي النخلة البحرية، اركب معي وانزل في طريق الدسانسة وهناك ستجد سيارات أكثر من هنا أغلبها ذاهبة إلى المركز.

ركبتُ معه وكلّي أملٌ في ألّا أقضي ليلتي في سير العراء وسط حقول حتى لو تطلب الأمر أن أُكْمِلَ الطريق سيرًا على الأقدام، وبعد ربع ساعة من السير بالسيارة وقبل أن يتّجِهَ إلى طريق النخلة أوقفَ السيارة، وطلب مني النزول معتذرًا بأنه سوف يتّجِهُ يمينًا. شكرته على كلّ حالٍ، ودَسَسْتُ يدي في جيب بنطالي وأخرجتُ منه ورقةً ماليةً فئة النصف جنيه أعطيتُه إياها، وفي مجاملة أهل الريف قال:

- ما تخلّي يا أستاذ، وتفضل معنا.

فرددتُ مجاملةً بقولي:

- شكرًا.. ربنا يخليك.

فأخذ الورقة المالية ومضى في طريقه وهو يقول:

- لا تبتعد عن هنا وأشرْ إلي أيّ سيارة تراها ولا تخف الدار أمان.

ظللتُ أنتظر في مكاني عملًا بنصيحته، ولكني لم أسمع أو ألمح طيفَ سيارةٍ متجهةً يمينًا أو يسارًا، أصابني الملل وبدأ الخوفُ يتسلّل إليّ وسط ظلمة الليل، وكل القرى المحيطة بالطريق غارقةٌ في النوم، والصمتُ يسيطر عليها وكأن أهلَها قد هجروها!

أصبح الخوفُ هاجسًا لديّ وبَدَا لي أقلَ صوتٍ مُفْزِعًا حتى حفيفَ الأشجار بالنسبة لي بَدَا كنذيرِ شؤمٍ، وخُيِّلَ إليّ أن مزارعَ الموالح التي تحف الطريق من جانبين، ستخرج منها كائناتٌ خرافيةٌ تفترسني، تقضي عليّ تمامًا، وغَدَتْ عيناي – من فرط الرعب - ترى خيالاتٍ وأشباحًا تهيم في الغيطان، ووسط هذه الحالة من الرعب ومن قلب الظلمات إذ بصوتٍ خَشِنٍ يخرج من وسط الجنان:

- ها.. من هناك؟

لم أكد أستوعبُ الكلمةَ حتى قفز أمامي رجلٌ مُسِنٌّ يقطع عليّ الطريقَ ماسكًا بيده بندقية مورس قديمة. بدا لي في وسط الظلام بالبالطو الكاكي وجلبابه الرمادي والكوفية الرمادية شبحًا أتى من أعماق الجحيم؛ لكي يأخذني معه إلى هناك.

فرجعتُ إلى الخلف بعضَ السنتيمترات ولم أعد قادرًا على استرداد أنفاسي، وشحب وجهي تمامًا وكدت أختنق، فلّما رآني على هذه الحالة من الفزع، منحني فرصةً لكي أستعيدَ فيها روحي التي كادت أن تُسلبَ منّي. وبعد أن استعدتُ أنفاسي أدركت أن الواقفَ أمامي مجرد خفيرٍ يحرص الجِنانَ من لصوصِ الفواكه، أيقن الخفيرُ أنْ لا خطرَ منّي.. أنزل بندقيته وقال:

- يبدو أنك فُزعتَ، إن وجهَكَ شاحبٌ تمامًا، انتظر سوف أحضر لك بعض الماء.

اختفى قليلًا ثم عاد بيده قُلةٌ تلقفتُها منه فقد كان حلقي جافًا مثلَ الحطب اليابس، وشربتُ كثيرًا مثلَ مَن وجد بحيرةً وهو يعاني العطش في قَيْظِ الصحراء، وبعد أن شَرِبْتُ كفايتي ناولتُها إياه وأخذها مني وهو مبتسم.

- لابد أنّ الخَصّةَ كانت قويةً عليك لتجفف حلقك بهذا الشكل، أعتذر لأني أخفتك بهذا الشكل الصعب، أخبرني ما الذي جاء بك إلى هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل وفي هذا الجو البارد؟

أخبرته، فقال:

- لا تتعب نفسك في المشي، اجلس معي حتي يفرجها الله وتمر سيارة.

توجّه وأنا أتبعه إلى خُصٍّ مبنيٍ من البوص على بعد عدةِ أمتار داخلَ مزرعة الموالح، راودني الشكُّ أنني إن جلست في هذا الخص فلن أستطيع رؤية السيارة المارة علي الطريق، ولكنني ما إن ارتميتُ على الأرض ومددتُ ساقي أمامي وبدأتُ أشعر بالألم الكامن بهما يخرج من بين أصابع قدمي، حتي اكتشفت أن الخصَّ كاشفًا لكل الطريق يمينًا ويسارًا، وأنّ أقلَّ شاردةٍ أو واردة لا يمكنها أن تمرَّ دون أن يلاحظها الجالس بالخص بعكس المار في الطريق لا يمكنه أن يرى الخُصَّ إلا إذا دَنَا منه وأصبح فوقه تمامًا، هذا ما فَسّرَ لي كيف فاجأني الخفيرُ دون أن ألاحظه، توكّأَ الخفيرُ على بندقيته وجلس، فمَن في مثل سنِّهِ لا يستطيعون الجلوسَ أو الوقوف دون مساعدةٍ، وجلس بجوار ركية حطبٍ مشتعلة فوقها برادُ شاي ألمونيوم، رفع غطاءه، واطمأنّ أنّ الماء يغلي في براد الشاي، ثم قال:

- تشرب شاي؟

قالها وأنا أرى السعادةَ في عينيه لوجود مَن يشاركه شرب الشاي، ويؤنس وحدته

ويتبادل معه الحديثَ في ليلِ الشتاء الطويل الحالك السواد، أجبتُه:

- يا ريت.

وأنا في أَمَسِّ الحاجة إلي هذا الكوب الذي سيشعرني ببعض الدفءِ والانتعاش، مَالَ بجسده قليلًا إلى الخلف والتقطَ علبتين زجاجتين يحتويان على شاي وسكر، أَمْسَكَ غطاءَ البراد بيده وهو ساخن، ثم مَلَأ راحةَ يديه شاي وسكبه في البراد وتركه يغلي قليلًا حتي بدت رائحتُه كالمحترق، أحضر كوبين صغيرين وغسلهما ببعض الماء من ذات القلة التي شربتُ منها قبل قليل، ثم فتح علبة السكر وبأطراف أصابعه التَقَطَ ملعقةً صغيرةً من داخل العلبة، وملأ الكوبين سكرًا ثم سَكَبَ بهما الشاي الأسود مثل الحبر, قلّب السكر وأعطاني كوبًا، رشفتُ منه رشفةً واحدةً, إذ به شاي مرٌّ لدرجةٍ لا تحتمل، فكرتُ في وضع كوب الشاي جانبًا, لكني خشيتُ أن يسيءَ فَهْمِي، ولكنّ صَغَرَ كوب الشاي شجّعني على مواصلةِ احتسائه على مهل خاصةً أنّ سهرتي ستطول.

ظلّ صامتًا، كلتا عينيه محدقتين بالطريق يراقبه ممّا جعلني أشك أنه يعمل خفيرًا في النقطة، وليس مجرد خفير يعمل لصالح أصحاب الجنان.

هل تحرس الطريق؟

كلا، إنما أحرس هذه الجِنان.

اعتقدتُ أنّك تعمل عند الحكومة.

هذا كان أيام زمان، أنا الآن على المعاش.

ولكنك رجلٌ كبيرٌ في السن وتحتاج إلى الراحة، أليس لديك معاشٌ أو أولاد يساعدونك؟

صدرتْ عنه هنةُ سخريةٍ.

الأولاد كلٌ ملهيٌ في حاله.

والمعاش؟

وهل يكفي معاشُ الحكومة شيئًا، إنه لا يتجاوز المائة جنيه، وأنا وزوجتي نحتاج إلى الكثير من الأدوية.

شعرتُ بمدى سُخْفِ أسئلتي وحاولتُ أن أُغَيِّرَ الموضوع:

إنّ هذا الخُصَّ موقعُه فريدٌ، فهو كاشف لكل الطريق،

فابتسم:

أنا مَن اختارَ موقعَه, ثلاثون عامًا خدمة في الحكومة علمتني الكثير.

ثم بدأ يسترسل في الحديث كإناءٍ ممتلئ حتى فاض، وما لبس أن وجد فرصةً أخرج كلَّ ما بداخله.

ثلاثون عامًا.. لا أدري كيف مرّت عليّ دون أن أشعر, أجري والدنيا تجري من تحتي لم أستطع يومًا أن أتوقف إن توقفت أنا, هل كانت هى ستتوقف وتنتظرني؟! لا ما كانت لتتوقف، إنما كانت ستدهسني تحتها وتعدو

مسرعةً، ثلاثون عامًا عملتُ خلالها تقريبًا في كلِّ شبر في برِّ مصر، وعملتُ في كلِّ أقسامِ البوليس تقريبًا، أمسكتُ بمجرمينَ خَطِرينَ وأبرياء - ولكنها الأوامر- خضتُ معاركَ، صعدتُ جبالًا، وقطعتُ الصحراء ذهابًا وإيابًا - هل تسمع عن وحش الصعيد؟

تنبّهتُ للاسم الذي طالما سمعتُ عنه في الأساطير، واتسعت حدقةُ عيني وتطرقت إذني كي أسمع حكايته.

نعم أسمع عنه، ولكنى لا أعرف ما هي حكايته .

وحش الصعيد هذا كان مجرمًا خطيرًا وله عصابة قطاع طرق. كان على الطريق بين أسيوط وسوهاج لا يجرؤ أحدٌ على المرور على هذا الطريق بعد أذان المغرب، أعدّ مديرُ أمن أسيوط خطةً للقضاء عليه، بالفعل حاصرناه في الجبل وبعد عدةِ أسابيع من الحصار بَدَأَ أتباعُه في التساقط ما بين قتيلٍ وجريحٍ وقبضنا على بعضِ مَن حَاوَلَ الهرب والباقي سَلّمَ نفسَه لنا بعد أن دبّ اليأسُ في قلوبهم ولم يجدوا طريقًا للفرار، وقد نَفَدَ منهم مخزونُ الطعام والماء والذخيرة، ولكنّ الوحش لم يستسلم وظلّ يقاوم فكلّما اقتربنا من المغارة التي يختبئ بها، أَمْطَرَنَا بوابلٍ من الرصاص من بندقيةٍ آلي لم يكن يملكها آنذاك غيرُ الجيش! ظَلَلْنَا على هذه الحال طيلةَ عدةِ أيامٍ حتى بَدَأَ الإعياءُ على الجنود، طَالَبَ بعضُهم بالتراجع أو بالاستعانة بالقوات المسلحة لنجدتنا، ولكنّ مديرَ الأمن رَفَضَ تمامًا مثل هذه الاقتراحات بعد أنْ أصبحَ القبضُ عليه مسألةَ وقتٍ فقط، ولكن لخوفه على حياة الجنود قرّر

أن يقتلَه ويريحَ الناس من شره إلى الأبد خاصةً وهو لا يعلم حجم الذخيرة التي بحوزته، فهذه فرصة إن ضاعت قد لا تتكرر، فربما يستطيع الهروب، وإن هرب قد يعود أقوى من ذي قبل. جَمَعَ مديرُ الأمن أَمْهَرَ خمسة ناشنكان في القوة وكنتُ أنا من بينهم، وقال لنا: إنه يحتاج إلى متطوعٍ واحدٍ لقتلِ الوحش، وأنه لن يجبرَ أحدًا على التطوع، ولن يعاقب من يرفض. تردّدَ الجميعُ وخافوا على أرواحهم إلّا أنا فقد كنتُ وقتَها ملقبًا بصاحب القلب الميت، وفي جسارةٍ قلتُ: للمدير أنا أتطوع لهذه المهمة. رأيتُ الفرحَ في عيون الجنود المرشحين بعد أن رفعتُ عنهم الحرج وحملت على عاتقي عبءَ المهمة الخطيرة، ورأيتُ الإشفاقَ في عين مدير الأمن، رَبَتَ على كتفي برفقٍ وقال - ربنا يوفقك.

تسلّلتُ إلى المغارة التي يختبئ بها الوحش من الجهة التي لا يستطيع أن يراني منها، في الوقت الذي قام فيه زملائي بالهجوم من الجهة المقابلة حتى يجذبوا انتباهَهُ بعيدًا عني، لكنّ المشكلةَ كانت أنّ الجهة التي تسلّلتُ منها لا تتيحُ لي رؤية الوحش جيدًا إلّا من داخل المغارة، وعلى مقربةٍ من المغارة ارتميتُ على الأرض، زحفتُ على بطني حتى دخلت المغارة - وبندقيتي تلك في يدي- ببطءٍ شديدٍ حتى لا يشعر بي. كانت المغارة عميقةً جدًّا عمقها يصل إلى 200 مترًا وبها حانية في اتجاه اليمين وهو نفسه الاتجاه الذي أرقد فيه، رأيتُه وهو راقدٌ خلفَ مدفعِهِ الرشاش متأهبًا لإطلاق النار، ولثانيةٍ بل

هي لحظة واحدة جاءتني الفرصةُ حينما رَفَعَ أصبعَه الذي تيبّسَ من طول وضعِهِ على الزناد كي يريحَهُ، وبسرعة البرق صَوّبْتُ بندقيتي تُجاهَهُ على بُعْدِ أكثر من 200 مترًا، ووجهتُ طلقةً واحدةً إليه جاءته ما بين حاجبيه أردتْهُ قتيلًا في الحال. نعم، أنا مَن قَتَلَ وحشَ الصعيد ببندقيتي هذه في مواجهةِ مدفع رشاش. بعدها رقّاني مديرُ الأمن ومنحني المحافظُ والوزيرُ مكافأةً ماليةً. حظيتُ طوال مدة خدمتي بالاحترام من كل رؤسائي، وحينما قدمتُ طلبًا بالاحتفاظ بتلك البندقية كملكٍ خاصٍ لي بدلًا من تكهينها وافقوا على طلبي على الفور، من المأمور حتى أصغر ضابط في الأقسام التى عملتُ بها، كنت محبوبًا من الجميع.

علّمتُ أبنائي الثلاثة وكلهم أصبحوا موظفين وكلهم يعيشون الآن في المدينة، ولم أعد أراهم إلا في المواسم والأعياد. وفي نهاية خدمتي في الحكومة مع مضي الأيام تغيّر الناس وتغيّرت المعاملة.

وما إن انتهى من حديثه حتي بَدَأَ نورُ الشمس يبزغ في الأفق لينيرَ الدنيا من حولنا وشيئًا فشيئًا اتضحت ألوانُ أشجارِ الفاكهة الزاهية، سَمِعْنَا صوتَ حوافر حصان آتيًا من بعيدٍ صانعًا مع تغريد طيور الصباح مقطوعةً موسيقيةً، استند الخفير علي بندقيته ووقف، وأشارَ إلى العربة الكارو القادمة، طلب مِن سائقها أن يوصلني معه إلى المركز، ركبتُ وسار السائق، والخفير يُلَوِّحُ لي ويقول:

- مع السلامة أرجو أن تُعاوِدَ زيارتي.

مضتِ العربةُ وأنا ما زلت سارحًا في حكايته، أحاول تخيّل كيف كان في شبابه، وهل ما حكاه حقيقي أم بالغَ بعضَ الشيء في تعظيم حكايته؟ ولكنّ في النهاية شيئًا ما تغيّر في داخلي، فحينما قابلتُه كنتُ شخصًا وعندما تركتُه أصبحتُ شخصًا آخر، وتمنيتُ من صميم قلبي أن أعود إليه كي أسمع من حكاياته المزيدَ، فلا بد أنه ما زال يحتفظ بالكثير لم يبح به بعد.

openkandl.com

النور والظلام

obeikandl.com

obeikandl.com

عشرون عامًا أو يزيد، وهو قابعٌ في مكانه لم يتزحزح قِيْدَ أنملة، تتغيّر الدنيا من حوله وهو كعهدي به دائمًا لا سبيلَ له لكي يتغيّر. نفس الطول ونفس السُّمك وحتى لونه القاتم، كلّما حَاوَلَ موظفو مجلسِ المدينة أن يغيّروه أو يضيفوا له لونًا زاهيًا ذهبيًّا كان أو فضيًّا أو حتى سماويًّا وأضفوا إليه ألوانَ علمِ مصر الأحمر والأبيض والأسود عند قمته أتى زائرٌ إلى المدينة من كبار المسئولين وبالطبع أصبحنا نعرف جميعًا منصبَ المسئول القادم إلى مدينتا الصغيرة ذات الطابع الريفي من اللون الذي يُطلى به فإذا كان القادم هو المحافظَ مثلًا، فإنه يُطلى باللون السماوي، وإذا كان الزائر وزيرًا فإنه يُطلى باللون الفضي، أمّا إذا كان الزائرُ رئيسَ الوزراء فإنه بالطبع يُطلى باللون الذهبي. وحدث ذلك مرةً واحدةً حتى الآن، ولم تتكرّر ولا أظنها ستتكرر، وأسأل الله أن يمدَّ في عمري كي أرى ما هو اللون الذي سيُطلى يومَ أنْ يمنَّ اللهُ علينا بزيارة السيد رئيس الجمهورية لا بد أنهم سيخترعون له لونًا خاصًّا مميزًا عن ألوانِ السادة المحافظين والوزراء والسيد رئيس الوزراء اللذين مروا عليه من قبل.

هذا الواقف أبدَ الدهر هو عمودُ النور الكائن عند ناصية شارعنا، ووظيفتُه الأساسية هي إنارةُ الشارع عند مفترقِ الطرقِ وهو يقوم بهذا الدور على أكملِ وجهٍ، ولكن هذا لا يمنع عمود النور من القيام ببعض المهام الأخرى كمساعدةٍ لأهل البلد، منها على سبيل المثال أنه لا يمانع إطلاقًا في أن يَعْقِلَ أحدُ

الفلاحين دابتَه حول خصرِه بعضَ الوقت ريثما يقضى حاجتَه خلفَ السور في الأرض الفضاء التي عن يمنيه، كما أنه يَسْعَدُ كثيرًا بمشاهدةِ مبارياتِ كرةِ القدم المثيرةِ بين الصبية في نفس تلك الأرض الفضاء، ولا يكتفي بالمشاهدة فقط بل إنه يشارك فيها أيضًا إذ يصنع منه الصبية إحدى العارضتين، أمّا العارضة الأخرى فيقوم بدورها طوبتان كبيرتان.

كما أن هذا العمودَ وَفِيٌّ ومخلصٌ جدًّا لأهل بلدنا خاصة من العربجية، فكلما دارت معركةٌ لسببٍ ما بين العربجية من منطقتنا وآخرين من منطقه أخرى فهو يساعد بكل جهده عربجيةَ منطقتنا إذ يمسك العربجيُّ من منطقتنا العربجيَّ الدخيلَ من قبةِ قفاه ويدفعه في اتجاهِ العمود فيرتطم، ليستقبله بجسده الأسمنتي فيسقط على الأرض مغشيًّا عليه وبمرور الأيام وكثرة المعارك الطاحنة أصبح العمودُ أكثرَ احترافية وتفاهمًا مع العربجية من أهل المنطقة فبعد أن كان يسقط في كلِّ معركةٍ واحدًا أو اثنين، أصبح العددُ يرتفع إلى ستة أو سبعة أثناء المعركة.

الغريب في الأمر أنّ هذا العمود لا يمانع إطلاقًا ولا يبدي أيَّ قرفٍ أو تقزُّزٍ كلما وضع سكانُ المساكن القريبة منه أكياسَ قمامةٍ حول محيطه؛ وذلك لعدم توافر صناديق القمامة في كل البلدة، وعلاوة على ذلك أصبح هو المكان المتعارف عليه لكل البلدة لوضع القمامة في المساء وحتى الصباح حين تأتي عربه البلدية وترفع القمامة من حول محيطه.

كلُّ هذا المجهودِ الكبيرِ وهو لا يبدي مَلَلًا أو ضجرًا من أهل البلدة، مهما أثقلوا عليه الأحمالَ طيلةَ كلِّ تلك السنوات، ومع هذا فإنني قد أُشَاهِدُ عليه بعضَ علاماتِ الضيق والعتاب على أهل البلد إذ شاهدتُه أكثرَ من مرةٍ وهو يشيح بوجهه عنّا ولا ينظر إلينا على الأرض، بل يتّجِهُ ناحيةَ السماء حتى أن بعضَ الظرفاء يقولون: "إنه يريد أن يقول للنجوم لا تتباهي علينا بنورك، إننا نملك نورًا مثله، وربما أقوى منه".

ولكني أخشى أن يكونَ توجّهَ إلى السماء دُعَاءً علينا حتى يشكو حُزْنَهُ وبَثَّهُ إلى الله.

وكما هو حال الدنيا فلكلِّ شيءٍ نهايةٌ، ولا يبقى إلا وجه الله. لم أكن أتوقع أو أتمنى أبدًا أن أرى بأم عيني نهايةَ عمودنا الحبيب وبحقٍّ هي نهايةٌ مؤلمةٌ تجعل العين تدمع والقلب يدمى.

كان كعادته سامقًا بشموخه المعتاد وطوله الفارع المميز عن بقية الأعمدة لا يخشى أحدًا ولا يهاب أحدًا، إلى أن حانت ساعته، وكنتُ كعادتي كلَّ يومٍ أقف في شرفتي عند كلِّ مساءٍ أتطلع إلى الشارع وأراقبه وهو يؤدي عملَه إذ بسيارة جيب أحدث موديل تمرق في الشارع بسرعةٍ جنونيةٍ تتجاوز 100 كيلو متر في الساعة، ولكن ذلك ليس الخطأ الوحيد، إنما الخطأ الأكبر أنها تسير عكس الاتجاه في الشارع الخطأ المخصص للسيارات الداخلة إلى

المدينة، وهو على هذه السرعة يُفاجئ بسيارةِ نقلٍ مسرعةٍ كبيرةٍ تزن حمولتها 20 طنًّا على الأقل قادمة من الاتجاه المقابل في مواجهته تمامًا.

أصيب السائقان بالذعر إذ أوشكت سيارتهما على الاصطدام وشلّت المفاجأة كلاهما بضع ثوانٍ حتى أدرك صاحب السيارة الجيب أعصابه وبكلّ قوته انحرفَ بسيارته في اتجاه اليمين، فارتطمتِ السيارةُ بالجزيرة الفاصلة بين الطريقين، أما سائق النقل فانحرفَ إلى جهة اليسار مصطدمًا بكلّ قوته وسرعته وزنة حمولته التي تزيد عن 20 طنًّا في عمود الأنارة، أسقطت العمود على الأرض وكأنه شجرةٌ اقتُلِعت من جذورها، وتقطعت أسلاكه وارتمت على الأرض محدثةً شررًا قويًّا أشعلَ أكوامَ القمامة المكدسة حوله، ولقد خشي الناس اللذين هبُّوا للنجدة من أن تصعقهم أسلاك الكهرباء المنطرحة على الأرض، ممّا منع أيَّ محاولةٍ من الاقتراب وتقديم سبل العون، والأسوأ من ذلك هو تسرب البنزين من السيارة النقل على الأرض مُنْذِرًا بوقوع كارثة.

وعلي الفور ودونما تفكيرٍ هَرَعْتُ إلى الداخل وأمسكتُ التليفون وأخبرتُ شرطةَ النجدة بخطورة الموقف، وما هي إلا دقائق 30- دقيقة- وأتتْ سيارةُ الإسعاف والمطافئ وشركة الكهرباء التي قامت بفصل التيار الكهربائي عن المنطقة كلّها أولًا، ثم تمَّ إطفاء الحريق قبل أن تتسع دائرته، ثم نُقل المصابون إلى المستشفى. كادت تكون كارثةً مروعةً، لكنّ اللهَ سَلّمَ.

استغرقَ الأمرُ عدةَ أسابيعٍ حتى رُفِعَ عمودٌ آخر مصنوع من الحديد مكان العمود السابق، ولكنه لم يكن كسابقه حمّالًا للأسى محتملًا لأهل المنطقة كصاحبنا الفقيد، بل كان كسولًا لا ينير تلقائيًا إنما يأخذ الكثير من الوقت حتى يقوم بعمله، سريع الغضب تصدر منه طقطقاتٌ يصاحبها شررٌ يتساقط على الأرض كلّما زَمْجَرَ، وفي أغلب الأحيان كان يعلن العصيان فيمتنع عن الإنارة لعددة أيام ويتركنا نتخبط في الظلام.

opeikandl.com

obeikandl.com

ما بعد التظاهرة

obeikandl.com

obeikandl.com

تحسستُ محفظتي في جيب بنطالي الخلفي، ثم بأطراف أصابعي التقطتُها وأخرجتُها من جيبي؛ كي أخرج منها بطاقتي الجامعية حتى أظهرها في وجه موظف الأمن، أمسكتُ البطاقة بيدي اليسرى، وبيدي اليمنى أعدتُ المحفظة إلى موضعها في نفس الجيب، وما إن رفعتُ رأسي ونظرتُ صوبَ البوابة حتى فُوجئتُ بحشودٍ من الطلبة تقف عند البوابة لا تستطيع الدخول، اقتربتُ أكثرَ كي استوضحَ الأمر، ففُوجئتُ بالبوابة مغلقةً بسلسلةٍ حديديةٍ، وموظفو الأمن ومعهم رئيس الحرس الجامعي وعددٌ ليس بالقليل من ضباط الصفِّ والجنود مصطفون أمام البوابة كي يَحُولُوا دون دخول الهواء.

كنتُ على وشكِ أن أسأل أحدَهم عن سببِ هذا المنع المفاجئ من الدخول إلى الجامعة، وإذا بطابورٍ طويلٍ من الطلبة يتقدَّمُ مسرعًا كالقطار السريع يُهَلِّلُونَ ويُكَبِّرُونَ ويصيح أحدُهم: (الله أكبر ولله الحمد)، والطابورُ يردِّدُ وراءه. الآن فهمتُ الأمر أنها تظاهرة للتيار الإسلامي بمناسبة يوم القدس الذي يعدون له من البارحة.

اخترقَ الطابورَ جموعُ الطلاب الواقفين عند البوابة وبنفس الثبات اخترقوا الجنودَ والحرسَ الواقفين حائلًا بينهم وبين البوابة، لم يحرِّكْ أحدُ الجنودِ ساكنًا كي يمنعهم من العبور، وإنما أفسحوا لهم الطريق، وبمنتهى الخفة والرشاقة تسلّقَ الطلابُ المنتظمون في الطابور البوابةَ وقفزوا عبرَها

وهم يحملون على أكتافهم سماعاتٍ وأجهزةَ مكبراتِ صوتٍ بطريقة تدل على أنهم مُدَرّبُون تدريبًا جيدًا على هذا الأمر وليس شيئًا عفويًّا, وما إن عبر آخر طالب في الطابور حتى صَاحَ قائدُ الحرس ناهرًا الجنودَ والحرسَ بكلماتٍ لم أستوضح منها غير السُّباب.

ظنّ الطلاب الذين ينتظرون الدخول أنّ الموانع قد زالت، فطالبوا الحرسَ بفتح البوابات كي يدخلوا ويتلقوا العلم الذي هو الدور المنوط بهم، لكنّ أفراد الأمن بعد أن تلقوا الإهانات من قائدهم أمامَ حشود الطلاب انتهزوا الفرصة لكي يفشوا غلَّهم في الطلاب فصاح كبيرُهم:

- أعباقرة أنتم؟! أَ سَتَتَوَقّفُ حركةُ العلم إن لم تدخلوا هذا اليوم؟!

كان هذا الموقف باعثًا على السخرية أكثرَ من كونه إهانة؛ لذا قررتُ ألا أقف وأنتظر أن تفتح الأبواب، بل ذهبتُ أبحثُ عن بابٍ آخر لأيّ كليةٍ يمكنني الدخول منه

وبالفعل وجدتُ بوابة الحقوق مفتوحةً على مصراعيها.

دخلتُ دون أن يسألني أحدٌ عن بطاقتي الجامعية، توجهتُ على الفور إلى قاعةِ المحاضرات فلم يتبقَ من الوقت الكثير، كانتِ المحاضرةُ عن حضارة الفرنجة في العصور الوسطي, وعلى عادة المُحاضِر لم يتحدث كثيرًا في موضوع الدرس، وإنما كان يتطرق إلى موضوعات شتى غيرِ مترابطةٍ، فهو ما

إن يتطرق إلى موضوعٍ حتى يتركه وينتقل إلى موضوع آخر خطر علي باله توًّا، وموضوع يُشتقُ منه موضوعٌ حتى تطرّق -لا أدري كيف- إلى الحروب الصليبية وبالتحديد الحملة الصليبية الأولى، وأصوات التظاهرة القادمة إلينا من ساحة الجامعة تُشتِّتُ انتباهنَا وتمنعُنا من جمع شتاتِ الأفكار الغزيرة التي يمطرنا بها المحاضر، ولكني أعتقد أن هتافاتِ المتظاهرين تلك هي التي ذكّرتِ المحاضرَ بالحروب الصليبية، وسقوطِ بيت المقدس وكمِّ المذابح البشعة التي ارتكبها جنودُ الفرنجة (الصليبيون) من قتل كلِّ سكان المدينة من المسلمين والمسيحيين المخالفين لهم في المذهب. تخيُّلي لهذا المشهد المُرَوِّعِ ذكّرَنِي بمشاهدِ الانتفاضةِ الفلسطينية الأخيرة، وكمِّ المعاناة التي يلقاها الفلسطينيون اليوم، هي نفسها التي تلقاها أهلُ بيت المقدس في الماضي. أنهى المحاضرُ المحاضرةَ وما زال ذهني شاردًا في مشاهد التنكيل والتعذيب التي يلقاها الفلسطينيون. أفقتُ على زميلي أحمد يَرْبِتُ على كتفي برفقٍ قائلًا:

- فِيمَ أنت سرحان؟

فأجبتُه وأنا ما زلت شاردًا.

- لا شيء.

- هل فهمتَ شيئًا من المحاضرة؟

- نعم... القليل.

- أنا لم أفهم شيئًا ولا أنوي أن أحضر محاضراتٍ لهذا الدكتور بعد الآن.

بدتْ على وجهي ابتسامةُ سخريةٍ، فلو كان مقياسُ الحضور هو مقدار

فهمنا للمحاضرين فلن يحضر إلى الجامعة طالبٌ واحد.

كان هناك متسعٌ من الوقت بين المحاضرة الأولى والتي تليها، هذا الوقت ما بين المحاضرتين هو دائمًا أكثرُ الأوقات مَلَلًا. لم نكن نجد أيَّ عملٍ نقتل به الوقتَ غير التسكُّعِ أو الثرثرة في حديقة الجامعة.

أشارَ أحمدُ بأنْ ننزلَ إلى الحديقة كما توقعتُ، فالحديقة هي مكانُه المفضل، ولكنه أردفَ قائلًا:

- دعنا نجلس في مكانٍ قريب من التظاهرة حتى يتسنّى لنا مشاهدةَ الطلبة المتظاهرين. لم أكن من أصحاب الفضول في متابعة التظاهرات، فأنا من النوع الحسّاس ضد الصوت العالي والضوضاء، أمّا هو فمِن هواةِ متابعةِ كلِّ النشاطات في الجامعة، رغم أنه لم يشارك يومًا في أيّ نشاطٍ في الجامعة ونزولًا علي رغبته الفضوليةِ تلك والتي لا يستطيع أيًّا من كان أن يُثْنِيْهِ عن رغبته تلك.

وافقتُ على الجلوس في مكانٍ قريبٍ من التظاهرة، رغم علمي بمدى الصداع الذي تسببه لي ضوضاءُ التظاهرة والذي لن أبرأَ منه إلا بعد عدة أيام، وما إن جلسنا إلا وزميلتينا دعاء ومروة تدنوانِ منّا وتسألانا عن موضوع المحاضرة فسألتُهما:

- لماذا لم تحضرا؟

فأجابتْ دعاء:

- لقد فاتنا قطارُ الصباح وانتظرنا القطار الذي يليه.

فقال أحمد مازحًا:

- يا ليتني كنتُ معكما، فأنا لم أفهم شيئًا من المحاضرة.

فضحكتْ مروة وقالت:

- منذ متى وأنت تفهم.. أنا لم أسمعك مرةً واحدةً تقول أنك فَهِمْتَ محاضرةً.

وكان عليّ أن أُنْهِيَ هذا السيلَ من المزاح السخيف الذي بدأوا فيه ولن ينتهي:

- كانت المحاضرة عن حضارة الفرنجة، ولم تكن مفيدةً، فصيحاتُ المتظاهرين أفقدتنا تركيزنا.

نظرت دعاء نحوَ التظاهرة، ثم وجهتْ إليّ سؤالًا:

- هل تعتقدانِ أنّ مثلَ هذة التظاهرات مفيدةٌ، وأنها بالفعل توصل صوتنا إلى العالم الخارجي؟

طفقتُ قليلًا أفكّر فقد جاءني السؤال مباغتًا، خاصةً إذا جاء من دعاء أو مروة فهما مثل أغلب الطالبات قليلات الاهتمام بالسياسة أو حتى بالشأن العام، ومع ذلك أجبتُها لأنني أكره أن يسألني أيَّ أحدٍ سؤالًا ولا يجد عندي إجابةً:

- ربما، ولكنها في الأغلب مجرد تنفيس عن الغضب الذي يجيش في صدور الشباب.

فمَطّتْ شفتها السفلى إلى الأمام وقالت:

- إذن فليس لها فائدة، ووجع دماغ وخلاص.

openkandil.com

قال أحمد الذي وَجَد سبيلًا آخرَ للمزاح:

- نعم أتيتي بالخلاصة.

قالت دعاء:

- هل ستحضرانِ المحاضرة الأخرى؟

- نعم.

- إذن سوف نعود في قطار الساعة السابعة في أغلب الأحوال بإذن الله.

فقد كنا طلبةً من المدن القريبة من الإسكندرية، أنا من (أبو حمص) وأحمد ودعاء ومروة من (كفر الدوار)، محترفو قطاراتٍ نستقله في الصباح ذهابًا وإيابًا في المساء في مواعيدَ متفقٍ عليها فيما بيننا ضمنيًّا، فالذي يذهب أولًا يترك متسعًا لزملائه حتى يحضروا أو يترك مقعدَه لزميلةٍ حضرت توًّا ولم تجد مكانًا شاغرًا.

وقفتا واستأذنتَا في الانصراف وإذا بأحمد يهبُّ واقفًا مشيرًا بيده:

- انتظرا، سوف أذهب معكما.

ثم أشار إليّ:

- ابقَ هنا دقائق سوف أعود.

مرت حوالي عشر دقائق بعد ذهاب أحمد وأنا أنظر للمتظاهرين، صَعَدَ أحدُهم على المظلة الأسمنتية فوقَ بابِ كلية التجارة وهو ملثّمُ الوجهِ وصَعَدَ إلى جانبه طالبٌ آخر ملثمٌ أيضًا، وكأنهما يستعدانِ لتنفيذِ عمليةٍ انتحارية، قُذِفَ لهما بميكرفون وعلم إسرائيل، ناشَدَ الطالبُ الأولُ رجالَ الأمن من

خلال الميكرفون الخروجَ إلى الشارع رغم يقينه بأن ذلك مستحيلًا، ففي العام الماضي حاولَ الطلابُ الخروجَ عُنوةً إلى الشارع، فتصدتْ لهم قواتُ الأمن فازدادَ الطلابُ إصرارًا على الخروج، وحطّموا أبوابَ الجامعة وخرجوا إلى الشارع ممّا جَعَلَ رجالُ الأمن أكثرَ قسوة في التعامل مع الطلاب وتطور الوضع والاشتباك بين الطلاب وقوات الأمن، قذف الطلابُ الأمنَ بالحجارة، وردّ عليهم الأمنُ بقنابلَ مسيلةٍ للدموع وخراطيمِ المياه، أُصِيبَ أحدُ الطلاب باختناقٍ وماتَ بعدها بساعات.

أشعلَ الطالبُ الملتثمُ النارَ في علم إسرائيل، فهلّلتْ جموعُ المتظاهرين ودَوّى تصفيقٌ حادٌّ صفعني على أذني، فزعتُ يمينًا ويسارًا للبحث عن مصدرِ هذا التصفيق، فإذا بهم مجموعةٌ صغيرةٌ من الطلاب فتيان وفتيات يجلسون بالقرب مني يسخرون من مشهد حرق العلم، قال أحدهم:

- ها لقد أُحرق العلم.

وقال آخر في سخريةٍ مُرّةٍ:

- حَرّرُوا بذلك القدس، لا بد أن شارون يكاد يموت كَمَدًا الآن حينما شاهد علمَ بلادِه وهو يحترق.

ودون أن أشعر وجهتُ لهم لومًا شديدًا بعد أن أفقدني مزاحُهم وسخريتُهم الشديدةُ قدرتي على ضبط أعصابي رغم أنني في أغلب الأحوال لا أوافق على مثل هذه العنتريات والشعارات الجوفاء التي تحدث في المظاهرات

والتي قد تضرُّ أكثرَ ممّا تنفع:

- لا لن يموت كمدًا حينما يرى علم بلاده يحترق، ولكنه سوف يعلم مقدار الكراهية التي يزرعها كلَّ يومٍ في قلوبِ العرب تُجاه إسرائيل.

وَجَمَ الساخرون خجلًا ونظروا إلى بعضهم البعض حتى كسرت إحدى الفتياتُ الصمتَ، وَجّهَتْ إليّ سؤالَ العَالِمِ ببواطنِ الأمور:

- لماذا يُخفي الطالبُ الذي أحرقَ العلمَ وجهَه؟

- أعتقد أنه يخفي وجهَه لسببين: الأول: تشبُّهًا بالمقاومين الإسلاميين في فلسطين، والثاني: حتى لا يعرفهم رجالُ الأمن ويتتبعونه.

وهنا عاد أحمد حاملًا كوبين بلاستيكيين من الشاي وبمصاحبةِ مجموعةٍ من الزملاء يحمل كلُّ واحدٍ منهم كوبًا من الشاي، منحني أحمدُ الكوبَ الذي أحضره خصيصًا لي وتناولتُه من يده وشكرتُه بامتنانٍ:

- لا بد أنك كنتَ تقرأ أفكاري، فإنني فعلًا كنتُ في أَمَسِّ الحاجة لهذا الكوب من الشاي.

فَضَحِكَ وقال:

- أنا أفهمها وهي طائرة، ودون أن تطلب أحضر إليك ما تريد:

جلسنا قليلًا نتبادل أطرافَ الحديث حتى ذكّرنا أحدُ الزملاء بأنّ اليومَ هو عيد القيامة عند المسيحيين، وكان يجلس معنا زميلنُا سامح المسيحي، وكنا نحبُّه كثيرًا؛ لأنه كان دَمثَ الخلقِ معطاءً لا يبخل على أحدٍ بالمساعدة في الدراسة كما أنه مِهْزَارٌ يحبُّ المزاحَ والضحكَ وله قدرةٌ عظيمةٌ على السخرية

اللاذعةِ من كلِّ شيءٍ ومن أكثر الأشياء مرارة. توجهنا نحوَه على الفور نُهَنِّئُهُ بالعيد، وردّ علينا التحيةَ بأحسنَ منها فلم يكن يمرُّ علينا عيدٌ إلا نتبادلُ التهاني، استمر مجلسنا في الحديقة لأكثرَ من نصف ساعة وسطَ صخبِ التظاهرة الذي كان يحيط بنا، وظلّ مجلسنُا مَرِحًا وضاحكًا ولم نعد نشعر بالملل الذي كنا نشعر به، ولم نعد نكترثُ للضوضاء من حولنا حتى هبط علينا -لا ندري من أين- أحدُ الطلاب المنتمين للتيار الإسلامي، أقحمَ نفسَه وسطنا. وفَرَضَ نفسَه علينا فرضًا، ثم بعد تحيةٍ مقتضبةٍ طَفِقَ يعطينا محاضرةً في الأخلاق " أنتم هنا تجلسون في الحديقة تلعبون وتفرحون وتلهون، ولكم إخوة في فلسطين يموتون دفاعًا عن دينهم ووطنهم لا بد أن نشاركهم ولو بأقل الأشياء، وأبسط ما يمكن أن تقدموا إليهم هو المشاركة في مثل هذه التظاهرة حتى نُعبِّرَ عن تضامننا نحوهم؛ لكي لا يشعروا بالوحدة في مواجهة العدو الصهيوني، قد يقول قائلٌ منكم: وهل هذة التظاهرات لها تأثير على الإخوة في فلسطين؟ أقول لهم: إن الأخوة في فلسطين يشعرون من خلال هذة التظاهرات بأنهم ليسوا وحدهم وأننا جميعًا كشعوبٍ إسلاميةٍ نتضامن معهم. ثمّ نَظَرَ إلينا، وسَأَلَنا: ألستم جميعًا مسلمين؟ فأشرنا برأسنا إيجابًا فأكملَ يقول: إذن لا بد أن تشاركوا جميعًا في مثل هذه التظاهرات، على كلِّ مسلمٍ أن يشعرَ بشعور أخيه المسلم في كلِّ أرجاء العالم. إنّ اليهود والمسيحيين فقط هم اللذين لا يشعرون بشعورنا كمسلمين، وعند هذه الجملة أصابنا الارتباكُ ممّا قاله مُعَرِّضًا بالمسيحيين وبيننا صديقٌ مسيحيٌّ خاصةً أنه صَدَرَ من شخصٍ

ينتمي إلى التيار الإسلامي. نظرنا جميعًا له في شبهِ اعتذارٍ، ونحن نرقب ردةَ فعلِه وإذا به لا يحرك ساكنًا وكأنه لم يسمع شيئًا. لَبِثَ صاحبُنا المتطفلُ قليلًا يفكّرُ وكأنه يتذكّر شيئًا وجيهًا قد نَسِيَهُ، ثم وجّهَ إلينا تعليماتِه الأخيرة، وبالمناسبة ليس من الإسلام في شيءٍ بل هو حرام شرعًا أن تقول لزميلك المسيحي كل عام وأنت بخير؛ لأنه ليس من ديننا، بل يعد عدوًّا لدينك ولا يجوز أن نتمنى له السعادة التي تتمناها لأخيك المسلم." كنا نتصبّبُ عرقًا وهو يتفوّهُ بهذه الترهات، وكلُّ ما يشغلنا هو كيفيةُ السيطرة على ردةِ فعلِ صديقنا المسيحي، وكيف سنزيل أثرَ هذا الانطباع السيِيء الذي تركه هذا المتطفل عن المسلمين وما يضمرونه للمسيحيين من شر.

إلّا أنّ سامحًا كان له رأيٌ آخر أفضل حَسَمَ به الموقفَ الصعب الذي أَوْقَعَنَا فيه هذا المتطفل، وبمنتهى الذكاء رَفَعَ عنّا الحرجَ عندما هبّ واقفًا ونادى بأعلى صوته يا محمد عبد العظيم وأشارَ بيده لشخصٍ ليس له وجود، ثم جَرَى مبتعدًا، ضَحِكنا في أنفسنا؛ لأننا لم نكن نتوقع أن يرفعَ عنّا الحرجَ بهذه الطريقةِ المبتكرة، ويفضّلَ الابتعادَ على أن يسمعَ المزيد من هذه الترهات. عند هذا الحد أنهى المتطفلُ حديثَه وتوصياتِه لنا بعد أن شَعَرَ بالحرج وبأنّ ثمّة خطبًا ما خطأ قد بَدَرَ منه، وبعد أن ابتعدَ عنّا المتطفلُ بالقدر الكافي، عاد سامح وهو يضحك وضَحِكْنَا جميعًا على هذا التصرف المفاجئ، وضحكنا أكثرَ على سامح وهو يُقلِّدُ في سخريةٍ صاحبنَا المتطفلَ في حماسته وحديثه

العنتري عن الجهاد والمقاومة وهو يجلس هنا في الإسكندرية تحت الشمس بعيدًا عن النار المحرقة هناك. لم يشأ أن يتطرق أحدُنا لما قاله المتطفلُ تهجُّمًا على المسيحيين ولو حتى على سبيلِ الهزار واعتبرناها صفحةً سوداءَ أردنا محوَها من ذاكرةِ سامح حتى لا تترك أثرًا لديه، وسامح أيضًا لم يحاول التطرق إلى مثل هذه الأمور حتى لا يترك لديه أثرًا سيئًا وشعورًا بالمرارة، ونحن في غمرة الضحك نظرتُ إلى ساعتي لأكتشفَ أنّ موعدَ المحاضرة قد حان فقلتُ لزملائي:

- هيا بنا إلى المدرج.

ولكنّ سامحًا لم يكن ليذهب ويعود هكذا خالي الوفاض، بل عاد بالخبر اليقين.

- لقد اعتذرَ الدكتور عن المحاضرة.

نَزَلَ علينا الخبرُ كالماء البارد، يا الله هل كنّا كلّ هذا الوقت ننتظر لا شيء، ضاع الوقت سُدًى.

نوينا الرحيل أنا وأحمد إلي بيتنا، تصافحنا وتواعدنا باللقاء في اليوم القادم، ولأنّ كلَّ الأبوابِ موصدةٌ بسلاسلَ حديديةٍ حتى لا ينفذ أو يتسلّلَ منها المتظاهرون إلى الشارع، طفقت أنا وأحمد نبحث عن مخرجٍ من الجامعة حتى وجدنا بابًا صغيرًا يؤدي بعيدًا عن الطريق العمومي ليس له سوى ممرٍ ضيق لا تستطيع جموعُ المتظاهرين المرور من خلالة نظرًا لضيقه الشديد،

خرجنا والحمد لله بسلامٍ إلى الشارع وكما أعتدنا, سلكنا شارع الإسكندر الأكبر بجوار الترام حتى محطة الرمل حيث هواء البحر الرطب

وحيث السينمات والمحلات الجميلة التي لا يوجد مثلها في مدننا الصغيرة، وكان من برنامج رحلتنا اليومية هذه عند العودة أن نزور مكتبة الهيئة العامة للكتاب في بداية شارع سعد زغلول. كان أحمد يشجعني على هذه الزيارة المتكررة للمكتبة رغم أنه ليس من مشتريي الكتب أو من القراء النّهِمِينَ ومع ذلك فقد كان يهوى الفرجة على أكوام الكتب، يُقلّبُ فيها وبعد مناقشةٍ مقتضبةٍ فيما بيننا حولَ أحدِ الكتب يشجعني على شرائه.

وما إن دخلتُ المكتبة حتى وقعت عيناي على كتاب توفيق الحكيم (أرني الله) صدر حديثًا عن مشروع مكتبة الأسرة ناولني أحمد الكتابَ قبل أن تمتدَ إليه يدي لعلمه مدى إعجابي الشديد بكتب توفيق الحكيم، اشتريتُه وغادرنا المكتبة وتوجّهنا عبر شارع صفية زغلول صوبَ المحطةٍ مباشرةً، وصلنا المحطة ووجدنا القطار يقفُ على الرصيف المعتاد، وقد توافدَ إليه الركابُ من كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ ويكاد أن يمتلئَ. دلفنا إلى داخل القطار، نأمل أن نجد مكانًا شاغرًا نجلس فيه وبينما نحن نبحث إذ بصوتٍ ناعمٍ مألوفٍ لدينا يناديا:

- أنتما... هل تبحثانِ عن مكان؟ يوجد هنا مكان يتسع لشخصين.

كانت دعاء ومروة وكأنما كانا ينتظراننا، سَعدنا بهذه الصدفة التي جمعتنا

بهما وما أسعدنا أكثر أننا وجدنا مكانًا نجلس فيه يرحمنا من تعبِ الوقوف لمدةٍ طويلةٍ طوالَ الطريق، سألتني دعاء عن المحاضرة، فرغتُ فاهي من المفاجأة:

- ألم تذهبا كي تحضرا المحاضرة قبلنا؟

فضحكتَا بهستريا شديدةٍ كالمخمورتين وقالت مروة:

- لا لقد انخرطنا في التظاهرة وهتفنا حتى كاد صوتنا أن يُبَحَّ.

كانت هذه المفاجأة أكبرَ فلا يُعقلُ أن تشارك دعاء ومروة في التظاهرة مهما كانت الدوافع، فهذا مناقضٌ لكل مبادئهما التي تتلخص في النوم والراحة والثرثرة والنميمة، والحديث عن الأكلات وكيفية طبخها، ولكنهما حَاوَلَتَا أن يوضِّحَا الأمرَ لمّا رَأَيَا علاماتِ الدهشةِ والاستغرابِ باديةً علينا، فقالت دعاء:

- لقد كنا في البداية نبحث عن مخرجٍ وقد كانت كُلُّ الأبواب مغلقةً، وبينما كنا نحاول الخروجَ من باب الحقوق، ودون أن نشعرَ وجدنا أنفسَنا في قلبِ التظاهرة والطالباتُ من حولنا، يهتفنَ بصوتٍ عالٍ فأخذتنا الحماسةُ وقلنا لأنفسنا لسنا أقلَ منهنّ وهتفنا مثلهنّ بكلِّ قوتنا، ولكننا ظللنا واقفاتٍ في مكاننا لم نتحرك رغم الحشود التي كانت تدفعنا إلي الأمام فكنّا بدلًا من أن نتحركَ إلى الأمام نتراجع إلى الخلف حتى تجاوزتنا التظاهرة وابتعدت عنا، وإذا ببابٍ صغيرٍ ينفتح من داخل البوابة الكبيرة، حاولنا الخروج منها، وإذا بضابطِ شرطةٍ طويلٍ عريضٍ يسدُّ علينا الطريقَ وهو يقول لنا:

اذهبا بعيدًا، الخروج من هنا ممنوع. توسّلنا إليه أن يتركنا نخرج، ولكنه أصرّ فأخبرناه أن القطارَ سوف يفوتنا، وإذا بضابطٍ آخر يقف بالقرب منه يسألنا: هل كنتما ضمنَ التظاهرة؟ فأجبناه على الفور: لا لا لا لسنا من هؤلاء. فنظر إلينا نظرةً فاحصةً، وقال نعم، هيئتكما لا تدل على أنكما مشاغبتان تسيران في التظاهرات، هيّا اخرجا بسرعةٍ. فخرجنا مُسْرِعَتَيْنِ وظللنا نجري حتى آخر الشارع.

ضحكنا عليهما حتى دمعت أعيننا ونحن نتخيلهما وهم يهتفانِ بالتظاهرة، ثم يحلفانِ للضابط كذبًا، حتى قطعت دعاء الضحكَ المتواصلَ حينما لاحظتِ الكتابَ الذي بين يدي وسألتني:

- ما هذا الكتاب الذي بيدك؟

أعطيتُها إياه كي تتصفحه فإذا بها تنظر إلى عنوان وتتهجّى أحرفَه وتُتَمْتِمُهُ وهي تقول: أر.. أر .. أر ني... ثم نظرتْ إليه وقالت:

أرني الله.. إذ نطقت الألفَ همزةً كما تُنطق القافُ بالعامية! بعثَ هذا إحساسٌ لديّ بالسخرية والأسى معًا، قلتُ لها موجهًا كما يوجّهُ الأستاذُ تلميذتَه الخائبة:

- أَرِنِي الله يا جامعية. هل أنتِ طالبة جامعية أم بصمجية!

فاسْتَأَثْ من سخريتي، وقالت:

- ماذا سوف تعمل به؟

تذكّرتُ على الفور مدى حبّها للطبخ، وحيث أنّ غلافَ الكتاب أخضر اللون قلتُ:

- سوف أخرطه على الملوخية. #

obeikandl.com

obeikandl.com

جسرٌ واحدٌ لكلِّ الرجالِ

obeikandl.com

obeikandl.com

وقفَ الثلاثةُ ينظرون إلى صورة بطل كمال الأجسام المعلقة في صدر نادي كمال الأجسام. النادي عبارة عن صالة كبيرة تحتوي على كلِّ أنواع أجهزة الإعداد البدني التي يستخدمها أبطالُ رياضة كمال الأجسام. اخترقوا الصالة إلى نهايتها حيث مكتب تلقي طلبات العضوية الجديدة وهم ينظرون بإعجابٍ لأبطال رياضة كمال الأجسام وهم يتمرّنون بقوةٍ، بأوزانٍ يصعب على الشخص العادي حملها.

قال تامر في إعجابٍ:

- هكذا تكون أجسامُ الرجال، فالرجل مفتولُ العضلات قويُّ البنية، دائمًا مهابٌ واثقٌ من نفسه، علينا جميعًا السعيَ حتى تصبح أجسادُنا مثلَ أجساد هؤلاء الأبطال.

طلب منهم الكابتن 100 جنيهٍ عن كلِّ فردٍ كَرَسْمِ اشتراكٍ شهري, رغم ضخامة هذا المبلغ بالمقارنة مع دخلهم كعُمّال في مصنع الألبان, ولكنه يهون في مقابل الوصول إلى حلمهم بعضلاتٍ مفتولةٍ.

اختارَ كلٌّ منهم جهازًا وبَدَأَ عليه التمرينَ, تامر بدأ بجهاز عضلات الكتفين والذراعين، ورامي أخذ جهازَ عضلاتِ الرجلين والساقين، ووسيم الذي كان يعاني من بعضِ الترهلات في بطنه اختارَ جهاز تمارين عضلات البطن.

سرعان ما اكتشفوا أنّ تَمَرُّنَهُم بالأوزان الثقيلة كاللاعبينَ المحترفينَ أمرٌ فوقَ طاقتهم، وبعد أسبوعين من التمرين المجهد والتهامِ كمياتٍ كبيرةٍ من

الطعام؛ فالمجهود الذي يبذلونه في التمرين يحتاج إلى كميةٍ مضاعفةٍ من الطعام حتى يعوِّضَ مقدارَ الطاقة الذي بُذلَ في التمرين , ورغم جهدِهم عدةَ ساعاتٍ مضاعفة في التمرين عن كلِّ أعضاء النادي إلّا أنّ استجابةَ عضلاتِهم كانت أبطأَ من كلِّ أعضاء النادي لم يزد حجمُ عضلاتهم إلّا بالقدر اليسير عن اللاعبين الآخرين اللذينِ انتظموا في التدريبِ بعدهم بفترةٍ، وهم أقلُّ منهم وزنًا وفي طرفةِ عينٍ تَحَوّلُوا إلى شبهِ أبطالٍ. تحمّل رامي عبءَ معرفةِ السرِّ وراءَ هذا التّحوّلِ السريع الذي يحدث للأعضاء الجدد ولم يجرِ عليهم؛ فهو صاحبُ قدرةٍ على التّوَغُّلِ في داخل المجموعات المغلقة ومصادقة جميع أعضائها ومعرفة أدقِّ أسرارها.

اكتشف رامي أنهم يتبادلون فيما بينهم سرًّا مجموعةً من العقاقير المجهولة, وبعد إلحاحٍ منه على أحِد أعضاءِ النادي القُدامى صَرّحَ له بأنّ هذه العقاقير عبارة عن ستيرويدات بنائية، وهي منشطاتٌ تحتوي على هرمونات بَنّاءَةٍ للجسم مثل التستوستيرون والأيونك أسد وديكا ديورابولين القادرة في ظرفِ أيامٍ قليلةٍ على تحويلِ أكثرِ الرجال هزلًا وضعفًا إلى بطلِ مصارعةٍ، حينما أخبرهم رامي بهذا السرِّ الخطير الذي اطّلع عليه، أجمعوا على رفضِ تعاطي هذه المنشطات أو أيِّ عقاقير لا يعرفون ماهيتَها ومدى الضررِ الذي قد تحدثه في جسم الإنسان، ولكنهم إزاءَ رغبتهم الملحة وإحساسهم أنهم أقلُ من باقي أعضاء النادي حتى المستجدين منهم، بَدَأَ موقفهم يلين بعضَ

الشيء خاصةً وهم يرون اللاعبين القدامى والمستجدين عضلاتُهم تنتفخ ولا يبدو عليهم أيَّ تأثيرٍ سلبيٍّ. تامر كان أولَ مَن تَشَجّعَ وتَجَرّأَ وحَقَنَ نفسَه بجرعةٍ من التستوستيرون وما هي إلّا أيام قليله وبدأتْ تظهر عليه مظاهرُ الرجولةِ -كما يظنها- على ذراعيه وكتفه وصدره الذي أصبح مثل صدرِ لاعبِ كرة القدم الأمريكية الذي يرتدي درعًا ممّا أدهشَ رامي ووسيم وشَجّعَهُمَا على أن يحقنا نفسَهما بنفس العقار، وانتفختْ عضلاتُهما بصورةٍ ملحوظةٍ في فترةٍ وجيزةٍ، ولكن بمجرد أن زالَ أثرَ الهرمون من أجسادهم سرعان ما عادت إلى حجمها الأول ممّا جعلهم في حاجةٍ إلى جرعةٍ أخرى تلتها أخرى، وأصبحوا في حاجةٍ دائمةٍ لهذه المنشطات حتى تحتفظَ عضلاتُهم بنفس القدرة وبنفس الحجم.

تامر.. تقدّم تامر لخطبةِ ابنة عمه -حلمه القديم- منذ أنْ شَعَرَ برجولته وهو يحلم بالزواج منها, حَاوَلَ بكلِّ الطرق لَفْتَ انتباهها إليه, ولكنها لم تعيره أيَّ اهتمامٍ، وفجأةً بعد أنْ أصبح مفتولَ العضلات لاحَظَ أنها تبادله الإعجابَ، تقرّب منها فلم تصده مثلما كانت تفعل سابقًا، أخبرته أنّ نظرتَها له قد تغيّرت منذ بدأ التدريب وصار من أصحاب العضلات المفتولة. الآن أصبح في نظرها رجلًا يستطيع الدفاعَ عنها ويشعرها بالأمان, ولكنّ لها شرطًا واحدًا هو أن يُجري بعض الفحوصات الطبية فهي تخشى من الأمراض الوراثية الناتجة عن زواج الأقارب. كان على استعدادٍ أن يفعل أيَّ شيء حتى

يرضيها، ذهب إلى أكبرِ مختبِرِ تحاليل للمقبلين على الزواج, أخذت منهما عينات دم وفى الموعد المقرر لاستلام النتائج، ذهب وكلُّه ثقةٌ ويقينٌ بأنه صاغٌ سليمٌ. والطب كل يوم في تقدُّمٍ، ولكلِ داءٍ دواءٌ، وكلُّ مشكلةٍ مهما كانت صعوبتُها لها حلٌّ في ظلِّ هذا التطورِ الطبيّ الكبير. إنه على استعداد بأن يُضحي بكلِّ ما يملك من أجل أن يفوز بمحبوبته.

استدعاه الطبيب وسأله:

- هل كنتَ تتعاطى أيَّ منشطاتٍ طبية ممّا يستعملها الرياضيون التي تحتوي على هرمونات؟

صَدَمَهُ هذا السؤال وشعر بوخزاتِ الإبر التي اخترقت جسَده في السنوات الماضية كسامير تدقُّ بمطرقةٍ غليظةٍ أفرغتْ جسمَهُ من كلِّ القوةِ التي شعر بها مسبقًا، وأصبحَ واهنًا مهترءًا كالخرقة البالية وبعد تردُّدٍ أجابَ:

- نعم...

فقال الطبيب أسفًا على حاله:

- لقد مَنَحتْكَ هذه المنشطاتُ جسمًا مفتولَ العضلات، وسلبتك أهمَّ ما يشعر الإنسان بوجوده - بأن أثرَه لن ينقطع من الدنيا- لقد أصبحتَ عقيمًا، فهذا النوع من المنشطات الذي كنتَ تتعاطاه يحبط الخلايا المنوية, والعلاج قد يستغرق وقتًا طويلًا ومن الممكن ألّا يُجدي نفعًا.

تغيّر لونُ الدنيا الزاهي وتحوّل فجأةً إلى اللون القاتم، تحطّمتْ أحلامُه, وسُحِقَتْ آمالُه، كان أهونَ عليه أن يقول له الطبيب: إنك أوشكتَ على

الموت! شعر بالنفور من عضلاته, يود لو استطاعَ التخلصَ منها كنوعٍ من الانتقام. صداعٌ رهيبٌ يسيطر على كلِّ دماغه، يود لو يضرب دماغه في الحائط؛ كي يتخلص من هذا الصداع أو يجلد نفسَه بسلسلةٍ حديديةٍ، ويقطع شرايينه بشفرةِ حلاقةٍ حتى يريق كلَّ هذا الدمَ الملوث

ويتخلص من هذا السمِّ الذي حَقَنَ به نفسَه... كيف سيواجه العالم؟ بماذا سوف يخبر خطيبته وأهلها الذين هم في نفس الوقت أهله؟ هل يقول لهم أنه أضاعَ نفسَه بنفسه كي يصبحَ مفتولَ العضلات؟! أضاعتِ العضلاتُ حلمَ الزواج بعد أن أصبح عقيمًا ولم يعد له غيرُ الخيبة والوحدة بعد أن انقطعَ نسلُه من الدنيا إلى الأبد هذه الوحدة التي ستلازمه طوالَ حياته، فمَن تلك المرأة التي سوف ترضى أن تتزوجَ من شخصٍ عقيمٍ عاجزٍ عن الإنجاب.

رامي.. دخلَ رامي إلى النادي ومجموعة من الكشّافين في اتحاد رفعِ الأثقال يلاحظون المتمرنين في النادي. وبعد ساعات من المتابعة لكل المتدربين تقدّم كبيرُهم نحوَ رامي

وأبدى إعجابَه الشديد بقوته البدنية وعضلاتِهِ المتناسقة خاصةً عضلات القدمين شديدة القوى، كذلك الطريقة السلسة التي يرفع بها الأثقال تنمُّ عن موهبة فطرية لِرَبَّاعٍ عظيمٍ.

- هل أنت عضو في نادي أو اتحاد أو تمارس أيَّ نوعِ رياضة؟

فأجاب رامي:

- أنا أمارس كمال الأجسام، هاوٍ ولستُ عضوًا في أي نادٍ أو اتحاد، ولم أدخل أيَّ بطولةٍ طوالَ حياتي.

ابتسمَ الكشّافُ ابتسامةَ رضا، وقال:

- كمال الأجسام ليست رياضة في حدِّ ذاتها، لكنها رياضة تكميلية، يجب عليك أن تمارس رياضةً أخرى غيرها مثلَ المصارعة أو الملاكمة أو رفعَ الأثقال. هل تعلم أن مصر لها تاريخ عظيم في رياضة رفع الأثقال؟

- حقًّا!

- كيف لا تعرف تاريخ رفع الأثقال، وأنت تمارس الرياضة! إن مصر لديها أبطالٌ عظامٌ في هذه اللعبة حصلوا على ميداليات أولمبية، هل تحب أن تكون أحدَ هؤلاء الأبطال.

بدتِ السعادةُ على وجهِ رامي، فلطالما حلمَ أن يصبحَ بطلًا مشهورًا يحظى بنظراتِ الإعجابِ والتقديرِ، وها قد جاء من يُحقِّقُ له حلمُه:

- نعم هذا هو حلم حياتي.

ابتسمَ الكشّافُ عندما شعر بأنّ أمامَه مشروعَ بطلٍ لديه الرغبةُ الحقيقية في أن يصبح بطلًا.

- هذا هو كارتي، اتصل في أيّ وقتٍ وسوف أنهي لك الإجراءات بأسرع ما يمكن بإذن الله؛ لكي تلحق بالمعسكر الذي يستعد لبطولة الجمهورية.

أخذ رامي الكارت والشعور بالسعادة يغمره ويمده بطاقةٍ عظيمةٍ تكفي لحملِ أحجار الهرم الأكبر، وأرادَ أن يقفز في الهواء فرحًا، ولكنه خشي من

أعضاء النادي فلا بدَّ أنهم يحسدونه الآن على هذه الفرصة العظيمة التي لم تتحْ لأحدٍ منهم، وهم أقدم منه بسنوات لذلك كتم فرحته في داخله، وانْكَبَّ يفرغ طاقتَه في التمرين بكلِّ همةٍ وحماسٍ بعد أن أصبح للتمرين هدفٌ آخر وأهم، لقد كان على استعداد أن يتدرب هكذا طوال الليل معتبرًا تمرينه هذا بداية للمعسكر الذي سوف يلتحق به, وفي اليوم التالي ذهب إلى المعسكر وأنهى إجراءات التسجيل في نفس اليوم وانضم للمعسكر, وعلى الفور بدأ المدرب يعلمه أساليبَ وتكنيك رفع الأثقال, اندهشَ المدرب لقدرته الفائقة على استيعاب التمرين في فترةٍ وجيزةٍ وأثبت أنه ربّاعٌ بالفطرة.

يمتلك أسلوبًا سلسًا يمكِّنُهُ من رفع أَثْقَلِ الأوزان، والتي تحتاج إلى تكنيكٍ معقدٍ بطريقةٍ يسيرة, أتمَّ رامي معسكرَ الإعداد وأُهِّلَ لبطولة الجمهورية, وفازَ بالمركز الأول وحقّقَ أرقامًا قياسيةً تقترب من الأرقام الإفريقية وسطَ دهشةِ وإعجابِ كلِّ خبراء اللعبة، وبعد حصوله على بطولة الجمهورية تأهّلَ إلى البطولة الإفريقية وسطَ منافسةٍ شرسةٍ من أبطالٍ محترفينَ.

رفع رامي ثلاثَ رَفَعَاتٍ نطر، وثلاثَ رفعاتٍ خطف، وحقّقَ رقمًا قياسيًا جديدًا في البطولات الإفريقية في رفعةِ الخطف التي تحتاج إلى عضلاتِ قدمٍ قويةٍ والتي يتميز بها، سجد رامي سجدةَ شكرٍ لله الذي وفقه للفوز، وجعل منه بطلًا يشار إليه بالبنان. صعد إلى منصةِ التتويج وعُزِفَ له السلامُ

الوطني بعد أن حقّق إنجازًا عظيمًا يستحق الإشادة، كما مدحته وسائلُ الاعلام المصاحبةُ للبعثة الرياضية. كان شعورُه بالسعادة غامرًا، حلّقَ به إلى عنانَ السماء واستمرت حالة الطيران هذه عدة أيام وهو لا يتمنى أن لا تزول هذه السعادة أبدًا ويستمر إلى الأبد بطلًا, فسوف يجتهد في تدريباته بكل طاقته حتى يحافظ على مستواه ويزيد رصيد بطولاته التي لا تسعده فقط، وإنما تسعد كلَّ من حوله وتسعد شعبًا بأكمله. وهو في غمرةِ سعادتِهِ تلك وكما كان مقدارُ سعادته عظيمًا، جاء إحباطٌ بنفس المقدار كاد يقتله؛ حينما عَلِمَ أنّ عينةَ المنشطات التي أُخِذتْ منه جاءت إيجابية وسحبت منه الميدالية الذهبية التي حصل عليها. انتابه شعورٌ بالخزي من فداحة الخطأ الذي ارتكبه حينما تعاطى المنشطات في الوقت الذي كان بقليلٍ من الجهد والمثابرة, يستطيع أن يحققَ نفسَ المستوى الذي وصل إليه بمساعدة المنشطاتِ التي سلبت منه حلمَه في أن يصبح بطلًا بعد أن قرّر الاتحادانِ المصري والإفريقي شطبَ اسمِه من قوائم الممارسين للعبة إذ لا يصح إطلاقًا أن يكون من بين ممارسي هذه اللعبة العريقة لاعبًا يبدأ حياته الرياضية بالغش والخداع، ويتعاطى عقاقير منشطة تمنحه قوةً ليست حقيقيةً، بل قوة صناعية لا يستطيع أنْ يحققَ مثلها بالوسائل المشروعة.

وسيم.. هرع وسيم لإجراء بعض الفحوصات الطبية بعد أن انتابه شعورٌ متكررٌ بالإعياء والغثيان مع مغصٍ شديدٍ وقَيْءٍ من وقتٍ لآخر، كذلك

لاحظ تغيُّرًا ملحوظًا في لونه، ولأنّ وسيمًا لديه هاجسٌ وقلقٌ دائمٌ على صحته فهو لا يبخل على نفسه أبدًا وهو على استعداد أن ينفق كل ما لديه من أجل أن يحتفظ بصحة جيدة؛ لذا مارسَ الرياضة حتى تساعده على الحفاظ على جسمه ممشوقًا خاليًا من السمنة, فالرياضة تنشط عضلة القلب وتحرق الكوليسترول في الدم، وغير ذلك من الفوائد التي لا تعد ولا تحصى، فهي تساعده على أداء عمله دون شعور بالتعب والإرهاق فهو من المؤمنين بأن العقل السليم في الجسم السليم.

في واحد من أكبر المعامل التحاليل الطبية أُخذت منه عينةٌ من الدم، وأخبره الطبيب أن نتيجةَ التحليل لن تظهر قبل نهاية اليوم؛ لذلك يستحسن أن يذهب ويعود فى الغد، ولكن الغد بالنسبة لوسيم يعد دهرًا وهو لا يستطيع أن يبقى في قلقٍ ليومٍ كاملٍ على صحته، فضّل أن ينتظر نتيجة التحليل، ويطمئن بنفسه حتى لو تطلّب هذا أن ينتظر ستَ ساعاتٍ كاملة, هذا أهون عليه من أن ينتظر أربعًا وعشرين ساعة لن يذوق فيها طعمَ النوم حتى صباح اليوم التالي.

جلس في البهوِ الرئيسي ينتظر, راحَ وجاءَ على موظفِ الاستعلامات أكثرَ من مرة وخرج إلى الشارع ثم عاد. حاول أن يشرب بعضَ القهوة فزادَ توترُه فقرّر أن يأخذ مهدئًا، ولكن الشراب المُهَدِّئَ أثارَ حالة الغثيان ممّا زادَ

شعورُه بالقلق.

انقضت الساعات الست وذهب يسأل:

- هل ظهرت نتيجة التحليل؟

فسألته الممرضةُ عن نوع التحليل الذي أجراه، فأجابها عمّا سألت:

رفعت سماعةُ التليفون، وسألت الطبيب الذي أجرى له التحليلَ هل خرجت عينةُ التحليل ثم أغلقت الخط، وقالت له:

- سوف يأتي الطبيبُ بنفسه لكي يخبرك نتيجةَ التحليل.

وقفَ وسيم ينظر وقلبُه يدقُّ بقوةٍ وكلُّه رجاء، وهو يدعو الله أن يلطفَ بحالته. جاء الطبيب من الممر يمسك فى يده ظرفًا به نتيجة التحليل. وهو يمشى بخطواتٍ حزينةٍ، نظرةُ عينيه إلى الأسفل حتى لا تقع على عينِ وسيمٍ فَتُنْبِئُهُ بأخبارٍ سيئةٍ.

أرضيةُ الطرقةِ من السيراميك الذي يُصدرُ صوتًا مثلَ دقاتِ الطبول العالية، والتي تدقُّ في رأسِ وسيمٍ على وَقْعِ خطوات الطبيب وهو يتقدّم نحوَه كنذيرِ شؤمٍ يُنْبِئُ بخطرٍ ما قادمٍ. وقف الطبيبُ أمام وسيمٍ مباشرةً وهو في غايةِ الأسى حزنًا على شابٍ ما زال في مقتبل العمر، تردّدَ قليلًا قبل أن يخبره وكاد أن يتراجع لولا أنه رأى نظراتِ توسُّلٍ فى عين وسيم, نظرَ الدكتور إلى الظرف الذي بيده وأخرج منه نتيجة التحليل برفقٍ وبنفسِ النظرة المتأثرة التي رَمَقَ بها نتيجةَ التحليل نَظَرَ إلى وسيمٍ وقال له:

- في الواقع: إن نتيجة التحليل مُخَيِّبَةٌ، ولكن لا تقلق فإن الأمل في الله كبيرٌ. لديك قُصورٌ في وظائف الكبد، لكنه ما زال فى المراحل الأولى ويمكن علاجُه بقليلٍ من الصبر والثقة في الله، فالعلاج سوف يتطلّب وقتًا ومالًا كثيرًا حتى يَمُنَّ الله عليك بالشفاء.

أعاد الطبيب نتيجةَ التحليل إلى الظرف وأعطاه لوسيم، أخذ منه وسيمٌ الظرفَ ولديه إحساسٌ بأن أعضاءه الداخلية تنهار، وأن صَدْعًا انشقَ في جوفه يكاد يقسمه نصفين، وباختناقٍ شديدٍ وكأنّ ثعبانًا يطبق على حنجرته. عاد إلى البيت ولديه شعورٌ بالاكتئاب بعد أن ضاعت آمالُه وأحلامُه من الدنيا وأخذت معها صحته.

obeikandl.com

obeikandl.com

المجنونة تقول الحكمة

obeikandl.com

obeikandl.com

ها هي تعود...تختفي لبعض الوقت ثم تعود، قد تختفي أيامًا أو شهورًا وربما سنوات لكنها تعود. بنفس الهيئة الرثّةِ وملابِسِهَا المتسخةِ وشعرها الأشعث، إنها ربيعة المجنونة، ورغم أن القريةَ بها رجل وامرأة أخرى يعانيانِ من حالاتٍ مشابهةٍ لحالة ربيعة, إلا أن ربيعة لها شخصيتُها المميزة عن الباقين، أو لأنها ليست من أهل القرية بل هي وافدةٌ استوطنت عندنا، وأصبحنا نعرفها كواحدةٍ من أهل القرية بل أصبحت أشهر مَن في القرية.

لا يُعرف على وجهِ التحديد أصلُها وفصلُها, وما الذي جعلها تعتبر قريتنا موطنًا لها.

وفي كلِّ مرةٍ تختفي فيها لا نعرف أين اختفتْ، وفيما اختفتْ ولا كيف عادتْ! فهي دائمًا ما تهيمُ على وجهها، تمشي ببطءٍ شديدٍ، تغني، ورغم أنّ غناءها ليس كلُّه مفهومًا إلّا أنّ غناءها يترك في النفس أثرًا عميقًا مثلَ السحر. غناؤها هذا وكثرةُ اختفائها وظهورها مع بطءِ حركتها؛ جعل الكثيرين من أهل القرية يظنون أنها جِنّيّةٌ مُتَخَفّيةٌ في هيئة إنسانةٍ مجنونةٍ حتى يخشاها الناسُ ويبتعدون عنها فلا يعرفون سرَّها؛ لأنها تحبُّ الشبابَ الصغيرَ الغضَّ النضيرَ, تتربّصُ للواحد منهم وهو عائدٌ إلى منزله وحدَه في الظلام تخطفه، وتذهب به إلى عالمها السُّفلي لتتزوجه ليلةً واحدةً، ومن ثَمّ تقتله في الصباح، لم أصدق يومًا مثلَ هذه الخرافات إلّا أنني أكثر من مرة شاهدتُها في مكانٍ وبعد دقائقَ قليلةٍ أشاهدها في مكانٍ آخر، ولا أعلم كيف وصلت إليه بهذه السرعة وصلت وهي تمشي مثل السلحفاة! وآخرون كان لهم تفسيرٌ آخر،

فهي من مدينة كبيرة شوهدت فيها أكثر من مرةٍ وهى مختفيةٌ عن الأنظار، طردتها منها عائلتُها الثريةُ؛ لأنها خرجتْ عن طوعهم وتزوجتْ شابًّا ليس من مقامها أو مقام عائلتها الكبيرة. هربتْ معه وتزوجته في مدينة قريبة من قريتنا، ولكنه لم يحفظ الجميل، فخانها وتزوّج عليها وسلبها كلَّ ما تملك، ثم طردها في الشارع. حاولتِ الرجوع إلى أهلها الأغنياء، لكنهم لم يسامحوها، طردوها شرَّ طردةٍ ورَمُوها في مكانٍ قريبٍ من هنا، حاولتِ الرجوعَ إليهم مشيًا فتاهت, لذا فقدتْ عقلَها وهامت على وجهها في القرية تبحث عمّن يرثى لحالها، ويعطيها كسرةَ خبزٍ، ورغم هذا فهي ما زالت عفيفةَ النفس لم تُشاهد تمدُّ يدَها، ولم تسأل أحدًا طعامًا قط. كلُّ ما هناك أنها تظلُّ هكذا تهيمُ على وجهها حتى يحنُّ عليها أهلُ الخير ببعض الخبز الناشف وقطعةٍ من الجبن القديمة أو المش, تأخذ دون أن تنطق ببنت شفة راضيةً بما قسمه اللهُ لها، إذا كان مع الخبز قطعةٌ من الجبن وبعضٌ من أوراق الجرجير وثمار الطماطم والخيار تتلقفها من يدِ مُعْطِيها وهى سعيدةٌ مُهَلِّلَةٌ, فهذا بالنسبة لها وليمةٌ كبيرة. تجلس تحت ظلِّ شجرةٍ تأكل وبعد أن تفرغ من طعامها تعود لتهيم على وجهها في دروب القرية الضيقة.

مرةً واحدةً رأيتُها تتوقّف عند دكانِ عم سعيد البقال، تنظر إلى أرففِ البقالة وقد تكاثرت عليها المعلباتُ من المحلي والمستورد، رَأَهَا عمُّ سعيد وهى متسمرة هكذا أمام دكانِه تنظر إلى بضاعته، وهو لا يطيق أن يقفَ أحدٌ

أمامَ دكانِه يتفرج دون أنْ يشتري، فقال:

- عاوزة أيه؟

فأجابتْ في تردُّدٍ:

- علبة تونة من هذه.

نظر لها عم سعيد في سخرية:

- تريدين أن تشحتي مني.. أنا أفقر منك لا بد أن تعطيني أنت بدلًا من أن تأخذي منى. الشحاتين من أمثالك لا بد أنهم جمعوا الملايين من تسولهم، وبمقدورك ليس فقط شراء علبة تونة، وإنما شراء القرية كلها.

تَنَحّتْ جانبًا وأسندتْ ظهرَها إلى الحائط الملاصِقِ لدكانِ عمّ سعيد وجلست على الأرض تبكي.

- آه يا زمن أحوجتني للعالم! لقد كنتُ بنتَ أصلٍ لا أحتاج أحدًا ولا يهمنى مالًا. الإنسان لا يحب أخاه الإنسان، لو استطاع لَأَكَلَ حقوقَه وطعامَه وأكلَه هو نفسه! بماذا تنفع الملاليمُ الشحاتَ، هل تصنع منه مليونيرًا؟! ما كان أحد يغلب، لو كان في الدنيا عدل ما كان مثلى يُهان، تكشر في وجهي!! هل لو كنتُ غنيةً مثلَ أيام زمان كنت تكشر في وجهي؟! لا..كنت تستقبلني أحسن استقبال، ولفرحت بقدومي وتجلسني مكانك وتجلس أنت على الأرض.

ضاقَ عم سعيد، فاضَ به الكيلُ، أمسكها من ذراعها وأوقفها:

- أنت ستعددين بجانبي، اذهبي في داهية تأخذك.

ودفعها دفعةً قويةً أبعدتها خطواتٍ إلى الأمام بعيدًا عن الدكان حتى كادت تسقط، لكنها تمالكت نفسَها، ثم عادتْ ونظرتْ إليه بأسًى، ومضت تهيم على وجهها في دروب القرية وهى تغنى: "والنبي يا مركبي تعديني دا البحر غويط..البحر غويط مليان قراميط وأنا علمي بالبحر بسيط"، وظلّت تغني وتردِّدُ تلك الأغنية إلى أنِ اختفت.

opeikandl.com

الفهرس

فورمالين	5
اللوحة	15
رحلة إلى بلاد الشمال الباردة	52
أخي.. هذا ابني	39
أب وابن	45
عذراء في بيت المتعة	49
قمر تموز	65
فـي عـزِّ البرد	79
القاتل	85
الخفير	91
النور والظلام	103
ما بعد التظاهرة	111
جسدٌ واحدٌ لكلِّ الرجالِ	129
المجنونة تقول الحكمة	143

obeikandl.com

رقم الايداع / 10297 / 2013

الترقيم الدولى / ٣ - ٣١ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مطبعة إبراهيم سالم

01144595757

obeikandl.com